عبد الوهاب مطاوع

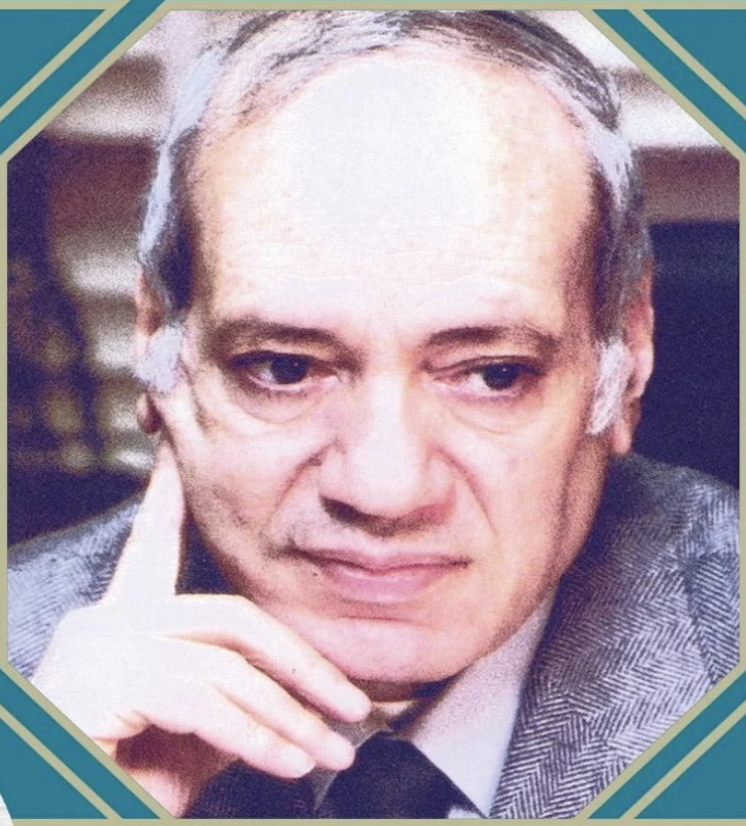

فريق متميزون

E-BOOK

نافذة على الجحيم

الدار المصرية اللبنانية

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة:

هذا العمل (تحويل كتاب:نافذة على الجحيم .. للكاتب عبدالوهاب مطاوع إلى صيغة نصية) هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

كتب مجمعة لبريد الجمعة

نـافذة علـى الـجحيم

عبدالوهاب مطاوع

مقدمة

تستغرقني أحياناً قراءة رسائل بريد الجمعة وتشدني إلى عالمها الغريب.. حتى لتمضي الساعات الطويلة وأنا غارق فيها فلا أحس بانقضاء الوقت إلا من تباشير نور الصباح تتسلل على استحياء من نافذة غرفة مكتبي.

فاكتشف لحظتها أن ليلة أخرى من العمر قد مضت مع هموم البشر.. ولم تنته بعد الهموم، ولقد اكتسبت من طول المعايشة عادة غريبة لا أعرف تفسيراً لها.. هي تخيل العالم الذي تروي لي عنه الرسالة.. حتى أكاد "أرى"أبطاله.." يتحركون أمام مخيلتي كأنهم أصدقاء أعزاء أعرفهم على البعد ومن بين الأصدقاء الذين عشت معهم في عالمهم أصحاب هذه الرسائل.

عبد الوهاب مطاوع

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في السماء

أنا يا سيدي سيدة في الثلاثين من عمري، متزوجة وعندي طفلان جميلان هما ولد وبنت. وقد تعرفت بزوجي منذ فترة طويل لأنه صديق لأسرتي، وكنت دائماً معجبة به وبشخصيته القوية الأخاذة. وكان - حين تنبهت مشاعري إليه - أرمل رحلت زوجته عن الدنيا وله أبناء. وكان يشكو دائماً من الوحدة. ويبدو أنني أشعرته بدون أن أحس بإعجابي به، فعرض عليّ الزواج ولم أتردد في القبول وتمسكت به. وقد وافقني أبي وإخوتي ولم يعارضوني في ذلك، لأنهم أيضاً كانوا معجبين به، ويرون فيه شخصاً مناسباً من كل الوجوه، فهو ثري جداً وشخصيته قوية، ومهذب وله ذوق رفيع. أما أمي فلقد عارضت الزواج وما زالت ترفضه حتى الآن، والسبب هو أني كنت حين قبلت الزواج منه في العشرين من عمري، أما هو فقد كان في الخامسة والستين من عمره! ورغم معارضة أمي فلقد تم الزواج خلال أسبوع واحد، وانتقلت إلى عش الزوجية في بيته مع أبنائه. ولن أصف لك ما لقيت خلال سنوات الزواج الأول من جانب أبنائه، وأنا أصغر من أصغرهم جميعاً!، فلقد قوبلت بمعارضة شديدة منهم وبمعاملة قاسية.. بل وبإهانات أيضاً، وواجهت العواصف الشديدة والرياح التي تريد أن تقتلعني لمدة 5 سنوات إلى أن استقرت حياتي وأصبح أبناء زوجي يثقون فيّ ويحترمونني. ونشأت بيننا علاقة مودة وحب متبادل، فسعدت جداً وفرحت بحبهم لي، حتى بدأ زوجي يغار من علاقتي بهم، وليست هذه المشكلة.. ولا المشكلة هي شيخوخة زوجي ولم أكتب لك لأشكو إليك منها، فهو يبدو في الخمسين من عمره وقامته عالية وله شموخ كشموخ " الدهر " لا يتحرك ولا يلين أبداً!.

وإنما المشكلة يا سيدي هي أن زوجي يعيش في القرن الماضي.. بينما نحن نعيش في أواخر القرن الحالي.. فأنا لا أطالبه بشيء ولا أرهقه بأي طلب، ودائماً عائلتي " تودني " ولا تدعني أحتاج لشيء، وإخوتي في مراكز مرموقة، والمشكلة أن زوجي يريد أن يجعلني أنام في الساعة الثامنة مساء، لأنه ينام في هذا الوقت. ويريدني أن أمضي اليوم كله في عمل البيت وشئون الأولاد، حتى يأتي الليل فأنام كالفسيخة من شدة التعب. والحياة عنده أن أعمل وأطعم فقط. فلا خروج ولا فسحة ولا مصيف حتى ذبل جمالي وشبابي وأصبحت مكتئبة. وأنا أحب القراءة جداً ومشاهدة التليفزيون لكي أروح عن نفسي، وهو لا يريدني أن أسهر أمام التليفزيون ولا شيء سوى شغل البيت، وأنا أناشدك أن تضم صوتك إلى صوتي لأنه حريص على قراءة بريد الجمعة ويعجب دائماً بحسن مشورتك."

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

لا عجب يا سيدتي فيما تقولين.. ففارق السن بينكما لابد أن يثمر هذا الاختلاف في المزاج النفسي وأسلوب الحياة الرغبات والعادات بينكما، والخروج على المألوف له عواقبه يا سيدتي، وتحدي قوانين الطبيعة له أيضاً عواقبه، فالقاعدة هي التقارب في السن إلى حد معقول بين الزوجين.. وهي أيضا التكافؤ في المستوى

الاجتماعي والمستوى الثقافي بقدر الإمكان بينهما.. ووجود بعض الاستثناءات كزواج ناجح مثلاً رغم الفارق الهائل في السن، لا يعني فساد القاعدة.. وإنما يعني فقط حالة استثناء من المألوف، وعلى سبيل المثال فلقد كان زواج " شارلي شابلن " وهو فوق الخمسين من " أونا أونيل " ابنة الكاتب الأمريكي العالمي " يوجين أونيل " زواجاً سعيداً بكل المقاييس، ودام حتى آخر لحظة في حياته، وأنجب من زوجته خلاله ثمانية من الأبناء والبنات. ومع ذلك فلقد عارضه يوجين أونيل من البداية إلى النهاية، لأنه خروج على قوانين الحياة، وكذلك فعلت والدتك بحكمتها الفطرية، ولا أدري كيف استسلم أبوك وإخوتك لهذه الرغبة المتعجلة منك، لكن هذا حديث آخر كنت أود ألا أنجرف إليه حرصاً على مشاعر زوجك ولأن، " العايط في الفايت نقصان في العمر " كما يقول البسطاء بحكمتهم الفطرية! إذن لنتعامل مع حقائق الحياة.. كما هي وآسف إذا كانت كلماتي قد جرحت مشاعر زوجك، فالحق أن كل إنسان أدرى بظروفه.. ولقد " فعلها " منذ شهور الأديب العالمي "البرتو موارفيا" وهو في الثامنة والسبعين من فتاة لم تبلغ الثلاثين بعد، لذلك سأقول لزوجك فقط إن من الحكمة ألا يفرض الإنسان وهو في شتاء العمر وفي مرحلة الرصانة والميل للهدوء على شريكته المتطلعة إلى نصيبها من الدنيا، أسلوبه هو في الحياة الذي مال إليه أخيراً، بعد أن رأى وسمع وقرأ وشبع من كل شيء، لسبب بسيط أنها لم تر ولم تسمع ولم تشبع بعد مما شبعت منه، وأنه لا بأس بأن تسمح لزوجتك بالسهر أمام التليفزيون وبالقراءة فيما تهواه، بل وبالخروج معك في إجازات قصيرة من عمل البيت، إلى المصايف والمشاتي، وأنت قادر على ذلك والحمد الله، فالترويح البريء يهون متاعب الحياة ويضمن لها استمرارها، وهو في حالتكما بالذات مطلوب بشدة ليكون نوعا من "التعويض" النفسي عن أشياء كثيرة. فالزواج ليس حكمًا بالأشغال الشاقة على الزوجة من الصباح حتى المساء، وخاصة في مثل ظروفكما، فتذكر ذلك جيداً يا سيدي، وتذكر أيضاً أن استمرار الضغط يولد الانفجار.. وهو ليس في مصلحة الأسرة ولا الأطفال ولا في مصلحة الهدوء والاستقرار اللذين تنعم بهما حالياً.. ورحم الله امرءاً عرف "حقائق الحياة".. وتفهمها بحكمة وواقعية!

وعوضي على الله في إعجابك السابق بحسن مشورتي والسلام!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بين الصخور

أكتب لك متشجعاً بما أشعر به من ثقة واطمئنان إليك على غير معرفة.. وبعد أن تشاورت مع أفراد أسرتي طويلًا حول ذلك. فأقول لك إنني خريج كلية التجارة في الخمسنيات وقت أن كان أساتذتنا لا يسمحون لنا بالنجاح في بعض المواد إلا بعد التأكد تماماً من استيعابنا لها، وأنني قد عملت في الشركات العامة منذ إنشائها وتدرجت في وظيفتي بالشركة التي أعمل بها حالياً حتى وصلت إلى منصب مدير بها.

ويعلم الله أنني أرعى الله في عملي فأصل إلى مكتبى قبل وصول أي موظف، وأغادره بعد انصراف الجميع وبعد أن أوقف المراوح إذا كنا في الصيف بنفسي، وأطفئ الأنوار، وأراقب الله في كل تصرفاتي، مؤملاً أن يبارك لي في أسرتي وفي رزقي، وأن يقينا جميعاً شر المرض وشر الحاجة. قد عودت أسرتي على حب الناس وخدمتهم وعلى الالتزام والجدية، ومراقبة الله في كل التصرفات. ولنا الفخر يا سيدي أننا من بين الأسر الملتزمة في هذا الوطن: فلا تكالب على أي سلع قد تكون شحيحة.. **ولا تزاحم على شيء. بل حب واحترام للممتلكات العامة، فلا قطف للزهور من الحديقة العامة. ولا إلقاء للقاذورات في الشارع، وقد رسخت في أذهان أبنائـي أن الله يغضب على من يستولي على ما ليس له. فإذا قطفوا وردة من حديقة المدرسة، فلقد استولوا على حق غيرهم في التمتع بها. كما رسخت في عقولهم أيضاً احترام إشارات المرور. وأقصد بذلك إشارة المشاة لأننا والحمد الله لسنا من راكبي السيارات، وحتى قبل عشر سنوات يا صديقي كانت الحياة ممكنة.. فارتكبت أكبر خطأ في حياتي وهو إدخال ابنتي الكبرى مدرسة لغات أملاً في مستقبل أفضل، وحين جاء دور أختها وأخيها ألحقتها معها بنفس المدرسة. لكن الحياة تغيرت بعد ذلك سريعاً، فبدأت أحس أنس سفينة الأسرة تمضي بصعوبة شديدة وسط الصخور والجنادل، بعد أن كانت سنوات زواجي الأولى تبحر في بحر هادئ الأمواج، وبدأت أشعر بأنني أحفر في الصخر لتعيش أسرتي، وأحافظ على مظهري ولن أتحدث عن صافي راتبي الذي أدخل به على أسرتي أول كل شهر بعد سداد الاقتراض الشهري الذي أبدأه في اليوم الخامس من الشهر، وهكذا دواليك فيظل حسابي مع الشركة مديناً باستمرار. لن أتحدث عن ذلك أبداً لكني سأتحدث معك عن محاولاتي لمواجهة هذا الواقع والوفاء بمتطلبات أسرتي الضرورية لأصل معك إلى الخلاصة.**

لقد تعلمت يا سيدي أن أكون عملياً. وألا أضيع الوقت في الشكوى. فادمت قادراً على الشكوى فلابد أني قادر على العمل فلماذا لا أعمل؟.

وعندما تقدم أبنائي في الدراسة ظهرت الحاجة إلى ضرورة الاستعانة بمدرس خصوصي.. ولم تكن ميزانيتي تسمح بأي ترف من هذا النوع، فحسمت الأمر على الفور بشراء القواميس الإنجليزية والفرنسية والكتب التي تساعدني على أداء عملي وشمرت عن ساعدي وأصبحت مدرس أبنائي الخصوصي.. فسددت على نفسي هذا الباب، ولك أن تتصور كم كان عليّ أن أدفع؟ وأجور المدرسين

الخصوصيين كما سمعت لا تقل عن خمسة جنيهات في الساعة، ثم تقدمت في هذا العمل وأصبحت لي قدرة على الشرح والإفهام فسألت نفسي ولماذا لا أقوم بالتدريس لزملاء أبنائي وليكن أجري هو نصف بل وربع ما يتقاضاه المدرس الخصوصي؟ فلم أوفق بكل أسف لأن أولياء الأمور يفضلون المدرسين الذين يقومون بالتدريس لأبنائهم بمدارسهم الأصلية، وعيون الآباء على درجات أعمال السنة. وليذهب المدرس الملتزم إلى الجحيم، ففشلت يا صديقي في التكسب من التدريس، ورضيت أن أكون مدرس أبنائي وحدهم وخرجت من الغنيمة بتوفير أجور المدرسين، لكني لم أتوقف عن المحاولة مع تعثر السفينة وارتطامها الشديد ببعض الصخور، مما سيجيء بيانه فيما بعد.. فحاولت التفاهم مع بعض "المعلمين" لأتعلم تركيب البلاط القيشاني ثم أمارس هذه العمل معهم بأجر عامل بلاط الذي سمعت أنه يتقاضى الكثير.. ففشلت المحاولة بكل أسف، لا لأني لم أتعلم وإنما لأن المعلم الذي حاولت أن أعمل معه قال لي بكل بساطة: "يا بيه كيف أنادي عليك وأمرك وأعنفك وأنا أعرف أنك مدير قد الدنيا؟ فغص حلقي بالجواب، واعتبرت الأمر مزحة وانصرفت دامعاً وقد كان لساني يفلت مني لأقول له.. أه لو عرفت الحقيقة لاكتشفت أني أبأس من كل عمالك ولعرفت أني لست مديراً "ولا قد الدنيا" وإنما رب أسرة يكافح في الحياة ليحفظ لها الكرامة ويوفر لها الرزق الحلال.. لكن كم تخدع المظاهر؟

ورغم ذلك فلم أتوقف عن المحاولة.. فبعد عدة أسابيع من هذه المقابلة حاولت أن أتعلم لصق ورق الحائط وتركيب الموكيت، وتعلمت بالفعل لكني فوجئت بعد ذلك ببعض الاعتذارات الواهية، وفهمت أن هذه المجالات مقفولة، وأن أصحابها لا يرحبون بالدخلاء أمثالي.. كما فهمت أيضاً أن القطاعين الخاص والاستثماري يعانيان من الركود بحيث لم يعد من المتيسر إسناد أعمال إضافية بعد الساعة الثالثة ظهراً لمثلي، فعدت إلى أسرتي وأنا أدعو الله أن يفرج كروب القطاعين الاستثماري والخاص ليقفا على رجليهما مع القطاع العام، فيستطيع مثلي أن يجد عملاً إضافياً وهو محفوظ الكرامة، وأنا أسف أن أقول ذلك لكن هذا هو الواقع.. ولن يجدي إنكاره لقد رويت لك كل ذلك لتعرف أني لم أكن سلبياً.. ولم أتوقف عن الكفاح في عملي العام وفي حياتي الخاصة.. لكن السفينة جنحت أمام عدة مشاكل تبدو لكثيرين تافهة، لكنها ليست كذلك بالنسبة لي ولأمثالي، فأما المشكلة الأولى فهي أن إحدى بناتي قد منّ الله عليها بنعمة طول القامة، فكان من الضروري جلوسها في آخر الفصل الدراسي ولما كان نظرها ضعيفاً فكان من الواجب عمل نظارة طبية لها، إذ أن جميع ما يكتب على السبورة لا تستطيع نقله بلا أخطاء، وطوال الشهور الماضية لم أستطع أبداً أن أوفر أجر طبيب العيون ولا قيمة النظارة، وأما المشكلة الثانية فهي مشكلة صحية خاصة بالسيدة زوجتي وكان ينبغي إجراؤها منذ سنوات، لكن حالت الظروف المالية دون ذلك وأصبح أي تأخير فيها الآن يهدد بعواقب وخيمة.

وقد شاءت الظروف أن ينتهي مفعول البطاقة الفئوية الخاصة بالكساء، بغير أن أنجح بكل أسف في تدبير كل المبلغ المقرر فيها لكسوة الشتاء.. والله در من فكر

في هذه البطاقة فلولاها لانكشف المستور والله در من ابتدع البطاقة التموينية وأبقى عليها حتى الآن، فلولاها لما اشتعلت المواقد في بيوت ملايين من البشر. وسامح الله من يتناقشون ويتفلسفون حول الدعم وهل يبقى أم يلغى؟ ومن هي الفئات التي تستحقه، فإلى هؤلاء الفلاسفة ادعوهم جميعاً لمشاهدة فيلم الموظفون في الأرض، فهو حقيقة بالنسبة لموظفي الحكومة والقطاع العام وليس خيالاً كما يتصور البعض ليعرفوا أن من يستحقون الدعم هم وأمثاله من فئات الشعب المكافحة.

ولنصل بعد ذلك إلى خلاصة القول.. فأقول لك إنني قد تشاورت مع أسرتي التعسة في التصرف في التليفون الخاص بمسكننا فقد يكون أحد الأخوة المواطنين في احتياج شديد له، حتى أستطيع القيام بواجباتي الملحة، فوافقتني أسرتي على ذلك. ولعلك أنت أيضاً توافقنا على ذلك فليس هناك حل سواه. فإذا وافقت فلعلك تساعدنا في هذه المهمة لأنني لم أستطع الإعلان عن ذلك بالجرائد لأنه لا يوجد لدي ما أعلن به عنه، فهل تقبل أن تنشر هذا الإعلان المجاني؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

نعم يا سيدي أقبل نشر هذا الإعلان المجاني بكل أسف لا عن تليفون مدير للبيع، وإنما عن الواقع الذي يعيشه هو وأمثاله من الكادحين المبحرين بسفائنهم الصغيرة في ملاحة صعبة وسط أمواج الحياة العاتية في بلادنا.. فإذا كان هذا هو حال الكبار فكيف يكون إذن حال الصغار.

لقد نشرت رسالتك لكي تذكرنا هي وأمثالها بأي مجتمع نحيا فيه وأي واقع اجتماعي نتعامل معه، ولكي لا يعمينا خداع البصر عن واقعنا، ولا تشغلنا الأصوات الجوفاء العالية عن صوت الأغلبية الصامتة. فالبعض منا بكل أسف لا يسمعون إلا لأنفسهم ولا يرون إلا مشاكلهم، فيتخيلون جهلاً وحماقة أن صوتهم هو صوت الأمة، وأن مشاكلهم هي مشاكل الجماهير فتتوارى المشاكل الأساسية.. ثم لا نفيق أبداً إلا على دوي الانفجار، فلعل في رسالتك هذه ما يخرس الأصوات العالية بلا مبرر.. ومن يتفلسفون حول قضايا الدعم ورفع أجور المساكن، والبطاقات التموينية والفئوية، ومن يبتزون موظفيهم باسم التبرع لسداد الديون.. ومن يخططون أحياناً لمجتمعهم بمنطق يلائم مجتمعات الوفرة لا مجتمعات الكفاف، ومن قرروا مثلاً حرمان الموظف من حق العمل كسائق أجرة بعد الظهر، حفاظاً على مظهر الوظيفة ونسوا أن الحفاظ على مظهر الوظيفة يبدأ بكفاية دخل الموظف لمطالبه من الرزق الحلال، إلى آخر هذه القرارات التي تكشف أحياناً عن الانفصال عن الواقع أو نسيانه... لذلك فمن المفيد جداً أن تذكرنا رسالتك هذه مع غيرها بما ننساه أحياناً في ترفنا الفكري ومناقشاتنا البيزنطية.. ففي رسالتك عبرة لمن يعتبر.. وذكرى لمن يتذكر.. والذكرى تنفع "المخططين".. أما عن مشكلتك الخاصة فتفضل بزيارتي لعلي أستطيع معاونتك مع قراء البريد في إيجاد

عمل إضافي يتكفل بحل مشكلتك.. وأرجو مقدما أن يوفر بعض القراء على أنفسهم رسائلهم التي يبعثون بها إليّ بعد كل حالة مماثلة ليقولوا لي إن هذا حل فردي لمشكلة، وأنه ليس كافيًا، فأنا أعرف أيضاً ذلك لكن ماذا أملك غيره؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الوصمة!

أنا يا سيدي شاب عمري17 سنة، طالب بإحدى المدارس الثانوية، مستقيم.. ومهذب ولا أحد يشكو مني سواء في البيت أم في المدرسة ومشكلتي غريبة بعض الشيء.. وأكاد أجزم بأنك لم تتلق أية رسالة عنها من قبل، لأني أقرأ بريد الجمعة وأتابعه لعلي أقرأ مشكلة قريبة من مشكلتي فاستفيد من ردك عليها.. وقد بدأت أحس بهذه المشكلة حين دخلت المدرسة.. وكان المدرسون خاصة في بداية العام الدراسي يطلبون من كل تلميذ أن يقف ويذكر اسمه بالكامل، فكلما وقفت ونطقت باسمي بالكامل فوجئت بالضحكات تنطلق من كل التلاميذ وحتى من المدرس نفسه. ثم بسيل من السخرية والكلام الثقيل والتعليقات التي تثير لديّ الخجل والضيق. وتنعكس على علاقتي بعد ذلك بالتلاميذ. وشيئاً فشيئاً بدأت أعرف السر وهو اسمي، أو على الأصح اسم جدي.. فهو يا سيدى اسم يحمل صفة منبوذة كثيراً ما تتردد في الشتائم البذيئة والمشتوم بها لعين قبيح. وقد أصبحت هذه الصفة اللعينة لصيقة بي، رغم أنفي وكلما تقدمت في العمر أدركت فظاعة هذا الاسم، وعجبت كيف هان على جدي الأكبر أن يسمى ابنه به.. بل وكيف طاوع القلم الموظف المختص أن يكتبه في الأوراق الرسمية فيصبح اسمي الثالث الذي لا مفر من استخدامه في كل المعاملات، وهو مسجل في شهادة ميلادي وفي أوراق المدرسة كلها.. ولا أملك حيلة - معه.. لقد تعذبت كثيراً بهذا الاسم يا سيدي حتى أصبحت أتحاشى أن أقدم نفسي لأحد، وأكره بداية العام الدراسي كراهية شديدة، لأننا نتعارف فيه في بداية كل حصة مع المدرس الذي يحب أن يسمع أسماءنا. وأصبحت أحمل للناس الكراهية بعد أن كنت أحب الجميع لأنهم يسخرون مني.. وأسألك هل الإنسان باسمه أم بأخلاقه وأفعاله.. ولماذا ينظر الناس إلى اسمي ولا ينظرون إلى أفعالي؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

اتفق معك يا صديقي في أن الإنسان بعمله وخلقه وفضائله، وليس باسمه، لكنه من الحكمة أن يجنب الإنسان أعزاءه السخرية وإيلام الآخرين لهم بكل السبل، لذلك لم يكن عبثاً أن جاء في أدب النبوة أن من حقوق الابن على أبيه وهي عديدة، أن يحسن اسمه، فلا يختار له الغريب ولا المنفر من الأسماء. ولقد جنى عليك جدك بهذا الاسم العجيب حقاً: ليس لأنه اختاره لنفسه لأنه لم يختره وإنما لأنه رضي عن طيب خاطر أن يسجله في شهادة ميلاد ابنه، وكان الأجدر به أن يغيره قبل أن يصم به ابنه في الأوراق الرسمية ثم يصمك به من بعده، وهي جريمة جهل وقصر نظر قبل كل شيء لكن ما جرى قد جرى، وفي حدود معلوماتي فإن الإنسان يستطيع أن يغير اسمه بإجراءات معقدة، ولا يستطيع أن يغير اسم جده لكنه من ناحية أخرى يستطيع أن يسقطه بالتجاهل من ذاكرة الناس وذاكرته هو أيضاً..

وحبذا لو استطعت أن تحصل على اسمك الرابع فتستخدمه بدلا من هذا الاسم الثالث المشين في أوراق المدرسة... وعلى أي حال فإنك لابد أن تنظر إلى الأمر كله ببساطه.. فكم عرفنا من عظماء كانت لهم أساء منفرة ثم طغت فضائلهم وأعمالهم على أسمائهم فلم يعد يذكر الناس لهم إلا ما تميزوا به من جلائل الأعمال.. فلا تدع هذه المشكلة تفسد عليك علاقتك بالآخرين.. ولعلك تحسن عملاً لو ضحكت مع الضاحكين إذا ضحكوا، مؤكداً ثقتك في نفسك.. ومؤكداً للجميع أنك أكبر من هذه المشكلة الصغيرة.. لأنها في النهاية مشكلة اسم أساء الجدود اختياره وليست مشكلة حياة.. وقديمًا قال شكسبير: " وماذا تساوي الأسماء؟ " أي ماذا تعني الأسماء وحدها إن لم تقترن فعلاً بالمعاني والفضائل والأعمال؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أحد عشر كوكبا!

قرأت منذ زمن طويل في بابك رسالة القارئ المهندس الذي له تسعة أخوة تأكلهم نار الحقد والكراهية على بعضهم البعض، وعلى سكان عمارتهم، فقررت أن أكتب إليك بقصتي مع إخوتي لعل فيها ما يفيد فنحن أحد عشر كوكبا: خمسة من الذكور، وست إناث أنجبنا والدي رحمه الله من أربع زوجات، كانت أمي هي الأولى وتوفيت بعد ولادتي، وتخرجت في الجامعة وكان إخوتي جميعاً بالمدارس والجامعات، وكنت متزوجاً في الخمسينات، راتبي بسيطا، ورغم ذلك كنت أبعث لوالدي بأكثر من ثلث راتبي ليعاونه على تربية أخوتي غير الأشقاء، لأنه كان موظفاً بسيطا بالدولة، ومات والدي ولم يكن المعاش كافيًا، فظللت على معاونتي لزوجات والدي لتربية الأولاد على حساب أسرتي وستعلم زوجتي حين تقرأ هذا لأول مرة سبب تعثر راتبي، رغم أنني لست مدخناً وليست لي نزوات فقد كنت أرسل ما أرسله لوالدي أو لزوجاته من بعده دون علمها، وتخرج الأولاد جميعاً في الجامعات بعد وفاة والدي الذي ترك لنا قطعة أرض مساحتها ستة أفدنة، وعاملوني جميعا كأب، فذهبوا إلى الشهر العقاري، ووقعوا توكيلًا فوضوني فيه في التصرف في الأرض كيفما أشاء، واجتمعوا جميعاً وقرروا ثلاثة قرارات.

الأول: أن يعتبروني أباهم تماماً.

الثاني: أن نعاهد الله جميعاً أن يظل بيننا الحب مهما حدث من خلاف فالدنيا لا تساوي شيئاً بجانب الحب الأخوي.

الثالث: في أي خلاف أحكم فيه أنا يقبل حكمي دون معارضة.

وبعت الأرض لأن أحدنا لم يكن متفرغاً للزراعة، وأعطيت كلاً نصيبه وأخذوه راضين شاكرين لي، ولم أسمع أى همس أو تجريح لأمانتي، حين أعطيت لكل منهم حقه وتزوجت البنات من أزواج بسطاء متدينين وهبهم الله النعمة والمال الوفير بعد الزواج وهن سعيدات بأزواجهن وأولادهن.

وسافر بعض إخوتي الذكور للعمل في الدول العربية وعادوا بثروة لا بأس بها، وتطوع أكثرهم يسراً فبنى بيتاً في قريتنا بالشرقية خصص فيه لكل أخ من أخواته شقة مع أنهم ليسوا أشقاء.. وأصبحت أنا وكيل الوزارة أقلهم ثراء لكنني أسعدهم بهذه المحبة.. ولما كنت أكتب الشعر وأنشره في الصحف والمجلات المصرية فقد أجمعوا على المساهمة في طبع ديوان لي وطبعوه على نفقتهم، ويسعدني أن أرفقه بخطابي وقد أهديت الديوان كما يظهر من صفحته الأولى إلى إخوتي غير الأشقاء وإلى المحبة التي تجمعنا، وأن كلاً منهم يملك الآن سيارة فاخرة وأنا أملك سيارة متواضعة صغيرة موديل 1974، لا أسافر بها وإذا نزلت لزيارتهم بالشرقية حيث يقيمون تحدث معركة لأن كلا منهم يريد أن يوصلني بسيارته، وأنا الذي اختار لفض المنافسة.. إن ما بيننا من حب يا أخي زرعناه من الصغر ورعاه الله وأينعه الدين وندعو الله أن يبقى ما بقينا، والأسرة المصرية بخير يا صديقي، وستظل بخير رغم شواذ العقل والأخلاق، وهم قلة لا تذكر في مجتمعنا، فقد قال

رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم أحب لأخيك ما تحب لنفسك. وقال المسيح الله محبة وهذا هو شرقنا بتراثه الأخلاقي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

أنتم فعلاً أحد عشر كوكباً يتلألأون في سماء المحبة والإخاء والتعاطف الإنساني، أني معك يا سيدي بكل قلبي في أن الأسرة المصرية بخير.. وأنها سوف تبقى كذلك بإذن الله ما دام في الحياة كتاب تتلى آياته.. ويستهديه البشر في معاملاتهم.. ومعك في أن فطرة الإنسان سليمة لكن شذوذها هو نتاج عوامل ومؤثرات غير ملائمة. ولا غرابة فيما تقول لي من حب إخوتك ووفائهم لك. فلقد أعطيت في الصغر فأعطوك في الكبر، ولا شك أنك ملكت قلوبهم بعدلك معهم وإخلاصك لهم، واحترامك لأدميتهم ومشاعرهم.. وقبل كل ذلك بحبك لهم صافياً بلا شائبة.. فمن أحب الناس أحبوه يا صديقي.. ولقد ذكرتني رسالتك هذه بمشهد قديم في مسرحية أنتيجون لسوفوكليس كثيراً ما هز مشاعري كلما تذكرته.. وهو مشهد أنتيجون وهي تنحني فوق جثمان شقيقها الذي غضب عليه عمه الملك، فأمر بقتله وإلقاء جثته في الخلاء، لتأكلها الضواري وحرم دفنها، فعصت أنتيجون أمر الملك وقالت وهي منحنية على أخيها تواري سوأته "لأنه بعد رحيل أبي لن يكون لي أخ جديد، فإنني لا أستطيع أن أتركك في الفلاة نهباً للضواري، ولو دفعت حياتي ثمناً لذلك".

فدفعت حياتها فعلاً ثمناً لوفائها لأخيها، لقد ذكرتني رسالتك بهذا المشهد الفريد مع الفارق بالطبع، ولاشك أن هذه الصورة الرائعة التي ترسمها لي لها نظائر عديدة وكثيرة في الحياة لكننا لا نسمع بها لأن أصحابها لا يرون فيها ما يستحق الإشارة إليه، في حين ينهال عليّ سيل من الرسائل الأخرى، من فتيات وشباب يصورون لي علاقاتهم بأشقائهم كما لو كانت نموذجاً آخر من نماذج العلاقات الشيطانية المتهرئة بين "الإخوة كرامازوف"، التي أبدع تصويرها دستويفسكي وما هي بهذه البشاعة في معظمها.. ولا تتجاوز في أكثرها ما يقع بين الشباب المتقاربين في السن من ملاحاة ومعابثات يومية لا تعكس حقيقة العلاقات الإنسانية، ولا عمق الروابط الأخوية بينهم لكنها آفة التسرع والتعجل.. "وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولاً" كما نعرف جميعاً.

إنني أتمنى لك ولإخوتك هؤلاء الكواكب الزاهرة أن تستمتعوا جميعاً بهذا الدفء الإنساني الذي يعيد للحياة معناها الأصيل مع تمنياتي لكم جميعا بالصحة والتوفيق والسعادة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الحائط

أكتب لك لأزيح عن صدري ما يتفاعل داخله من هموم... وسأبدأ بلا مقدمات فأقول لك: إنني شاب في التاسعة والعشرين من عمري مات أبي عقب ولادتي بعامين، وكان عاملاً حكومياً بسيطاً.. فمضى إلى العالم الآخر دون أن يترك لي حتى صورة له استرجعها في خيالي.. وكافحت أمي لتعليمي وأدخلتني المدرسة الابتدائية.. واستعانت على تربيتي بمعاش ضئيل لا يتجاوز جنيهات.. وبالعمل كلما سنحت لها فرصة عمل مؤقت في أي مكان، وحين شببت عن الطوق دخلت معها معركة الحياة فعملت صبياً لميكانيكي.. وصبياً لكهربائي.. وصبياً بمحل طعمية إلخ، ولأسباب مفهومه لم يكن في طفولتي أي طفولة.. فمنذ وعيت وأنا أحس بأني مسؤول عن نفسي وعن أمي. وساعد على ذلك إحساس مبكر بالرجولة.. ثم لسبب آخر سوف تكتشف تأثيره على حياتي فيما بعد. وهو أنني نموت جسمانياً نمواً سريعاً.. مما أقنعني بأني "رجل" ولم أكن في الحقيقة سوى غلام يشقى في أعمال مضنية كل يوم، ليوفر لنفسه لقمة العيش، وليخفف عن أمه بعض مئونته.. المهم أنهيت سنوات المدرسة الابتدائية بنجاح... ودخلت المدرسة الإعدادية أمضيت سنواتها بنجاح أيضا يبشر بمستقبل طيب في التعليم.. وسعدت أمي بنجاحي سعادة كبرى وتاهت فخرا بي على نساء البيت القديم الذي نسكن إحدى غرفه، وشجعتني بإصرار على الالتحاق بالمدرسة الثانوية، رغم نصيحة الجيرانٍ الطيبين لها بإدخالي المدرسة الصناعية أو التجارية لأعمل بعد 3 سنوات عملاً دائماً.. ودخلت المدرسة فعلا وانتقلت بنجاح من السنة الأولى إلى السنة الثانية.. ثم فجأة رحلت عني أمي ذات صباح حزين.. وبلا تفاصيل مؤلمة سأقول لك فقط إنني صحوت ذات يوم فوجدتها على غير العادة لم تستيقظ قبلي، فحاولت إيقاظها فكانت المفاجأة الأليمة.. وعندما صرخت وجاء الجيران على صوتي.. فهموا الموقف سريعاً فاصطحبوني إلى الخارج وأجلسوني في غرفة أحدهم.. وتعاونوا وهم الفقراء فيما بينهم على القيام بكل الإجراءات والنفقات.. ولم تمض ساعات حتى كنت أعود إلى الغرفة الخالية لأواجه مصيري وحيداً تماماً.. بلا أب.. ولا أم.. ولا أقارب وبعد أيام كان كل شيء قد عاد إلى مجراه في الحارة.. فالحياة تجرف كل شيء في طريقها يا صديقي.. ومن كان مثلي بلا أهل عليه أن يخرج سريعاً من دائرة الحزن، وإلا واجه ما هو أشد قسوة منه.. فحزمت أمري سريعاً وبمشورة بعض الجيران الطيبين تركت الدراسة وتطوعت للالتحاق بإحدى المدارس العسكرية بشهادة الإعدادية فأمنت لنفسي الرزق، وبعد شهور عاودني الحنين إلى تحقيق حلم أمي وحلمي أيضاً في التعليم، فعدت لاستذكار مواد المرحلة الثانوية وتقدمت بعد عامين لامتحان الثانوية العامة وحصلت عليها.. والتحقت بإحدى كليات الآداب منتسباً.. واخترت أن أدرس الفلسفة لأسباب غير واضحة في ذهني حتى الآن.. لكنك ستعرف بعد قليل "دلالة" هذا الاختيار.

وطوال سنوات الدراسة الجامعية كان يومي يبدأ بالاستيقاظ في الخامسة صباحاً، والذهاب إلى العمل على مشارف طريق السويس ثم ركوب المواصلات الصعبة

للذهاب إلى الجامعة لإحضار المحاضرات والكتب، وسماع بعض المحاضرات المسائية ثم العودة إلى غرفتي في التاسعة مساء، لأجهز طعامي وأغسل ملابسي وأذاكر دروسي. وساعدني على تحمل هذه المشاق صلابة جسمي فأنا متين البنيان كأني "ابن عز" يرعى صحته وجسمه ويغذيه باللحوم والبروتينات، وواقع الأمر. كما تعرف لكنها، حظوظ، كما يقولون، ولقد أنهيت سنوات الدراسة بالجامعة بنجاح وتخرجت بتقدير "جيد" في الفلسفة، وكان هذا غاية جهدي لأن معظم وقتي كأن يضيع في المواصلات وفي كظم غيظي من الزحام، وتجنب المشاحنات مع الركاب. وتحمل العبارات من نوع "ما تحاسب" "هي فتونة".. "وإلا أنت مستعفى نفسك".. إلخ، ولم تكن في الحقيقة "فتونة يا صديقي ولا أنا مستعفى نفسي" لكن لعنة الله على المظاهر. فأنا إنسان غلبان وطول حياتي لم أتشاجر مع أحد ولم أخطئ مع أحد.. لكن ماذا أصنع في جسمي الذي يحتل مساحة كبيرة في زحام أي أتوبيس، ويثير ضيق الآخرين مني.. المهم مرة أخرى ظهرت النتيجة ونجحت وقلت لنفسي إنه قد آن الأوان لأن أستريح ولأن أعمل عملاً يتناسب مع مؤهلي ونوع دراستي، فقدمت استقالتي من القوات المسلحة، وقبلت بعدها بعد شهور ولم يكن لدي أي أمل في وظيفة عن طريق قريب لأنه لا أقارب، ولا معارف لي أساسًا. إذن لابد من انتظار القوى العاملة لأعمل مدرسًا للفلسفة كما تمنيت، وفي فترة الانتظار قلت لنفسي إن عليّ أن أنسى سقراط وأرسطو وسبينوزا مؤقتاً وأتقدم لأي عمل فإذا جاءني تعيين القوى العاملة مدرساً تركت عملي غير آسف عليه.. فتقدمت لكل إعلان قرأت عنه في الصحف.. فكنت أواجه بالعبارة الشهيرة وماذا نصنع بالفلسفة؟

ومضت شهور طويلة بلا عمل ثم تقدمت لأحد الفنادق الكبرى كان يطلب موظفين يعرفون الإنجليزية، وأجريت المقابلة وقبلني الفندق موظفاً به تحت الاختبار.. ولكن بشرط واحد هو أن أقبل نوع العمل المعروض عليّ.. أما نوعه فهو كما قال المدير المساعد بالحرف الواحد أن تعمل "حائطا! تطلب مزيداً من الشرح؟ لا مانع لقد قال المدير المساعد إننا نحتاج إلى "حائط" مثلك يقف في الكازينو الليلي للفندق يبتسم للرواد وعند الحاجة إليك تتدخل بسرعة لفض الشجار بين الرواد بقوة وكياسة في نفس القوت ثم تصطحب المعتدي إلى الخارج بهدوء.

سمعت حديث المدير مشدوهاً وفهمت سريعاً ما يريد ثم قلت له: "يعني بلطجي" فقال بصراحة، بالضبط! فقلت له حائراً وخجلاً.. لكنني لا أصلح لهذا العمل يا سيدي.. وأفضل أن أعمل عامل نظافة؟

فأجاب بحزم نستطيع أن نجد كل يوم عامل نظافة.. لكننا لا نجد كل يوم من يصلح لها العمل! لأنه يتطلب مؤهلات جسمانية معينة وهي متوافرة فيك، فطلبت منه مهلة للتفكير وغادرته حزيناً.. وأمضيت أيامي بعدها أتقدم للمسابقات.. وأقرأ الإعلانات بلا فائدة.. وذات صباح وجدت قدمي تقوداننني إلى الفندق وقبلت العمل "ضابط أمن" بالكازينو الليلي كما تقول الأوراق، أما في الواقع فلا شيء سوى "بلطجي" ولم أعمل على الفور.. بل تلقيت أولا تدريباً نظرياً سريعاً تم خلاله تفصيل بدلة فاخرة خلال 48 ساعة فقط لي ثم ارتديت ملابس العمل.. ودخلت

الكازينو لأول مرة مع زميل قديم، وتعلمت أسرار العمل سريعا.. واستمعت لنصائح المجربين من زملائي، وكانت أولى النصائح ثمينة بحق.. "احذر أن تقول لأحد إنك خريج فلسفة لكي لا تجعل من ذلك مادة للسخرية والتنكيت من جانب الرواد "المبسوطين" فيستفزك أحدهم فتفلت أعصابك. وتهشم له رأسه " فتضيع!.

وعملت بالنصيحة.. فلم أتفلسف على أحد.. ولا مع أحد!..

"كن مبتسماً دائماً حتى وأنت "تخلع" كتف الزبون الرزل لإبعاده عمن يضايقهم! "وفعلت كما قالوا فعلاً.. بغير خلع لأني مسالم أصلاً.. ولا أحمل حقدا لأحد.." تعلم فن الضرب "الكتيمي" الذي لا تحاسب عليه عند التخليص بين المتشاجرين.. واضرب وأنت تبتسم.. واضرب وأنت تقول يا سعادة الباشا حقك عليّ أنا، يا سعادة الباشا أنا خادمك بس اتفضل معايا.. إلخ!

وللحقيقة فلقد تصورت أننا سندخل كل ليلة معركة.. فاكتشفت أن الصورة ليست كذلك، وأن ليالي عديدة تمر بهدوء لكن لابد من الاحتياط ولابد من وجود اثنين مثلي كل ليلة في الكازينو للطوارئ، ثم علمت بعد ذلك أن مجرد وجودنا يسهم كثيراً في تهدئة بعض الأعصاب المفلوتة، وخلال شهر عملته لم تكن هناك ضرورة لتدخلنا سوى مرتين فقط، أما باقي الأيام فنقضي الليل نبتسم للرواد ونتبادل التحية معهم..

لقد مضى عليّ الآن أكثر من شهر وأنا أمارس هذا "العمل".. وأعود إلى غرفتي في الصباح الباكر فأتعجب مما آل إليه حالي.. وبعد انقضاء الشهر الأول تسلمت راتبي كموظف تحت الاختبار.. وتجربتي كما يقول لي زملائي ناجحة.. و "مستقبلي" فيها "مبشر" إن شاء الله يعني سوف أجتاز فترة الاختبار بنجاح، لكنني غير سعيد يا صديقي وكلما نظرت إلى كتبي الفلسفية التي درستها وأمضيت الليالي ساهراً أفهمها وأتلذذ بقراءتها وأتنقل بين مدارسها المختلفة.. وأدرس اختلافاتها والفروق بينها.. أحس بأني قد خنت نفسي وخنت أحلام أمي في أن أصبح ذات يوم موظفاً محترماً أعلم النشء وتفخر بي على جيرانها من البسطاء فهل أخطأت؟ وهل أستمر في هذا العمل؟ وألا يؤثر ذلك على مستقبلي فيما بعد، حين أعمل مدرساً ذات يوم ويعرف عني أني كنت بلطجياً في أحد الملاهي؟.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

باختصار شديد إن رسالتك قد أسرتني في نصفها الأول وهي تروي عن حياتك وأنت غلام يتيم مع أمك الراحلة.. وتحكي عن كفاحك ورجولتك ووقوفك وحيداً في الدنيا بلا سند إلى أن تعلمت ودرست الفلسفة وتخرجت، ثم أذهلتني في نصفها الثاني بهذه النهاية غير المتوقعة لرحلة الكفاح البطولية هذه وبإهدارك لها عندما قبلت العمل "حائطاً بشرياً" في ملهى ليلي! فذكرني ذلك بطائر السمان الذي يعبر

البحر في رحلة بطولة خيالية ثم يتهاوى على الشاطئ ويسقط بلا أدنى مقاومة في أول شباك تصادفه على الرمال الناعمة! ففيم كانت البطولة إذن وفيم كان الكفاح والشقاء إذا كان هذا هو المصير المحتوم؟

نعم أخطأت يا صديقي لأنك أهدرت هذه الرحلة البطولية كلها بقبولك "عملاً " لم يكن يحتاج إلى الكفاح في أشق الظروف للتعليم ولا إلى دراسة الفلسفة ومدارسها المختلفة، وإنما يحتاج فقط إلى بنيان متين وعضلات مفتولة.. ويستوي فيه من درس الفلسفة اليونانية مع من لم يسمع بها قط. وهذه هي الكارثة!

ثم إنك لم تصمد يا صديقي.. وسقطت في أول معركة للبحث عن عمل، وأنت لم يمض على تخرجك سوى شهور فقط.. وكان حرياً بك أن تواصل الصمود إلى أن تجد العمل اللائق الذي يحقق أمالك.. وتعبر فيه عن نفسك.. وكان الأفضل لو احتفظت بعملك السابق إلى أن تصل إلى شاطئ الأمان، لكنك تسرعت.. ويبدو أنك لم تطق صبراً أكثر من ذلك. ولا أريد أن ألومك كثيراً لأن كل إنسان أدرى بظروفه.. ولا يعرف الشوق إلا من كابده كما يقولون.. وأنت قد كابدت الكثير ولا يجوز لمثلي أن يقسو عليك، لكني أقول لك باختصار إن هذا "العمل" الذي تمارسه لا يليق بك.. ولا ينبغي أن يكون هو "جائزة" رحلة كفاحك البطولية ثم إنه عمل مؤقت بكل معنى الكلمة لأنه مرتبط باستمرار "متانة جسمك" وسلامة بنيانك.. ولا يعلم الغيب إلا الله، وكما أنه بالتأكيد عمل يسيء إليك كخريج يرى أن مستقبله الطبيعي هو في العمل بالتدريس وتربية النشء، فإذا كنت تعد نفسك حقاً لهذا العمل فسارع بإنقاذ نفسك منه قبل أن تعتاد الجو الصاخب "اللذيذ" وتفقد روحك فيه.. وتصبح بعده غير صالح لأي عمل جدي من الأعمال الحقيقية في الحياة، وتفضل بزيارتي لعلي أستطيع معاونتك على الإفلات من "شباك" هذه الحياة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فوق نار هادئة!

قبل أن أبدأ رسالتي إليك أقول لكل زوجة نسيت أنها قبل أن تكون زوجة وأماً هي ابنة لأب وأم.. إن الحياة مهما طالت قصيرة. لعل ذلك يذكرها بأب نسيته أو أم نسيتها في خضم انشغالها بحياتها الخاصة وبيتها وزوجها وأطفالها، ولا أقول إنها نسيت أباها بمعنى النسيان لأن الإنسان لا ينسى أبويه.. وإنما نسيت بمعنى أن انشغالها بحياتها قد أنساها أنها مهما كبرت ومهما كان لها من أبناء.. فهي ابنة لأب يفتقدها إذا غابت عنه.. ومن حقه عليها أن تعبر له عن حبها له لعل في ذلك بعض ما يعوضه عما فقده بابتعاد أبنائه عنه.

فأنا يا سيدي زوجة في الثلاثين من عمري، وأم لثلاثة أطفال أكبرهم في التاسعة من عمره، وأعيش في دولة عربية منذ سنوات مع زوجي، وحياتي هادئة سعيدة لكني منذ 3 أسابيع وأنا أحس بنار هادئة تتسلل إليّ ببطء وتحرقني على مهل، ولا يشعر بها أحد وقد تسللت إليّ هذه النار منذ مات أبي في القاهرة، وأنا بعيدة عنه في غربتي.. فلقد كان أبا طيباً حنونا لم يطلب منا شيئاً قط رغم لحظات صراخه القليلة.. ورغم احتجاجاته النادرة على حياته الجافة منذ رحيل أمي شريكة حياته.. ولم يكن في النهاية سوى أب حنون تسعده الكلمة الصغيرة الطيبة.. ويسعده المزاح البريء ويجعله يضحك من أعماق قلبه.. وما يعذبني ويعذب إخوتي الثلاثة هو أننا لم نعطه حقه الكافي من الرعاية في سنواته الأخيرة. فمنذ أن تزوجت وأنا غارقة في دوامة حياتي وأطفالي وزوجي. وكانت شقيقتي تصنع الكثير من أجل أبي لكنها كانت مضطرة أحياناً إلى الاهتمام بحياتها، لكي تستطيع تربية صغارها بعد فشل زواجها، واضطرارها لمواجهة الحياة وحيدة وكان أبي يعيش مع شقيقي الأصغر وحدهما، لزواج الشقيق الأكبر واستقلاله بحياته ومشاغلها.. وكانت مشاكلهما كلها ترجع إلى حياتهما معا بغير وجود من يرعى شئونها المنزلية. مما جعل شقيقي الأصغر يشعر بأن أبي عبء عليه.. وجعل أبي يحس بأنه غير مرغوب فيه في هذه الحياة.. لكنهما كانا في النهاية ابنا في حاجة إلى أبيه وأبا حنونا يحتاج إلى ثمرة حياته وهم أولاده.. خصوصاً أن شقيقي الأصغر قد عاش حياة جافة بعد أمي و صغير، مما جعله عصبي المزاج لكنه كان طيباً وحنوناً رغم كل شيء.. وكان أبي يحبنا جميعا.. ويفتقدنا جميعا.. ويسعده أن يشكو إليه أحد منا متاعبه فيهتم بها.. ويشير عليه.. ويبكي أحياناً ألماً له.. لكنه رغم ذلك عاش سنواته الأخيرة في شبه عزلة رغم حرصنا على راحته.. لأننا جميعا مشغولون بحياتنا عنه.. كان يزورنا إذا اشتاق إلينا. ولا نزوره نحن إلا كلما سمحت مشاغل الحياة.. كان يسعد بزيارتنا ويفرح بنا.. أما نحن فكنا نزوره كما يزروه الضيف الذي يتعجل إنهاء الزيارة، وفى أجازاتي في القاهرة كان يزورني ويظهر لي كل حبه ومشاعره الأبوية تجاهي، لكني كنت لا أستمع إليه حين كان يأتيني شاكياً أخي في بعض الأحيان، وكنت أصده وأقوله له إني لا أريد أن أسمع يا أبي لأني سأسافر بعد فترة قصيرة وأعود إلى مقر إقامتي ولا أريد أن أتغير من ناحية أخي الصغير. وأنت الأب.. يا أبي.. والأب رحمة وحب وتسامح، كنت

سامحني الله أقف في صف أخي، ومع أخي أقف في صف أبي نعم يا سيدي فعلت ذلك وساويت بين الأب والأخ، وكان يجب على أن أضمه إلى صدري كما ضمني لصدره صغيرة وكبيرة، وكان يجب عليّ أن أسمع له بكل اهتمام وأن أنصره وأن أهتم بكل أموره ولو في فترات وجودي في القاهرة..

آه يا أبي.. هل تسمعني الآن وتحس بلسع الندم وهو يلسعني؟ لكم أحببتك يا أبي دون أن قولها لك.. ولكم كنت تمثل لي حصن الأمان في هذه الدنيا، وإن لم يكن هذا الشعور ظاهراً لكنه كان بداخلي فيكفيني أنك كنت موجودا أراك وأراسلك وتراسلني، ولكن بلا دور عملي من جانبي أساعدك به على مواجهة الحياة مع الأسف.. بلا دور.

لقد علمت أن أبي مات وهو يدعو لي ولأطفالي.. لكن ذلك لم يخفف عني عذابي، ولعل ما زاد منه أني حين علمت بمرضه الأخير قررت أن أنزل إلى مصر لأراه.. لكن ابني مرض فشغلت بمرضه عن مرض أبي.. وهكذا يا سيدي شغلت بابني عن أبي.. وانسحب أبي في هدوء من هذه الحياة بغير أن أقدم له كوب ماء في مرضه.. لقد قام إخوتي بواجبهم في رعايته أثناء مرضه إلى أن أسلم روحه لخالقها، لكن ذلك لا يخفف من آلامي.. فلقد كنت أريد لو طال به العمر لكي أقول له ما لم أقله له في حياته.. فأقول له إنني أحبه.. وأقبل يديه.. وأشكو له همي كما كان يحب دائماً.. لكنني لم أفعل بكل أسف وأنا أكتب إليك هذه الرسالة.. وأطلب ردك عليها.. ولو كانت كلماتك قاسية لأني سأكفر عن تقصيري في حق أبي بالتصدق على روحه والدعاء له بالمغفرة ولا أملك سوى هذا الآن..

لكنني أريدك أن توجه رسالتي هذه إلى كل الأبناء حتى يتدارك من كان منهم في مثل حالتي نفسه، فيشعر أبويه بالحنان والحب وهما على قيد الحياة قبل أن يفوت الأوان، ويترحم عليهما بعد الممات. مع تحياتي إليك ودعواتي لك بأن تنال كل الحب والعطف والحنان من أبنائك ولو كنت في غير حاجة لهم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

إني مهما قلت لك في ردي على رسالتك فلن أستطيع أن أكون أكثر صدقاً في مشاعري منك أنت في مشاعرك.. فأنت تكتبين يا سيدتي ونار الندم تلسعك ومرارة التجربة في فمك وفي قلبك.. والحزن الشفيف الهادئ يغلف وجدانك.. لذلك هزتني رسالتك ولمست مشاعري.. ولعلها تذكرنا جميعا بما يصنعه بنا زحام الحياة حين يجرفنا فنمضي العمر لاهثين نجري وراء أهداف متحركة كلما اقتربنا منها ابتعدت عنا، وواصلنا الجري وراءها.. ثم نصحو ذات يوم فنكتشف أننا قد نسينا في إنشغالنا بحياتنا الخاصة أعزاء كانوا ينتظرون منا أن نؤنس وحدتهم ونبدد وحشتهم، وأن نهتم بأمرهم نسمع لهم، وأن نعوضهم بدفء مشاعرنا برد

شتاء العمر، وصمت الدنيا من حولهم.. فلم نفعل بكل أسف.. وحين أردنا أن نفعل كان الوقت قد فات.. ولم يبق لنا سوى الفراغ والعدم ومرارة الندم.

فليت رسالتك هذه تذكر كل ناس من نسيه.. وكل "منشغل" بحطام الدنيا من تشاغل عنه.. وآه يا سيدتي لو تعلمنا ما تعلمته أنت فوق نار التجربة الهادئة.. وهو أن رحلة الحياة مهما طالت قصيرة..

وأن دقات قلب المرء قائله له: "إن الحياة دقائق وثوان" وأنه لا وقت لتأجيل أداء الواجبات الإنسانية إلى غد لا يضمنه أحد، وأن الحياة لا تنتظرنا لكي نعوض تقصيرنا في حق أحبائنا ونصحح أخطاءنا معهم.. فمن يجزم بأننا سنكون "هناك" غدا، أو أنهم سيكونون في الانتظار لكي يتقلبوا منا ويصفحوا عنا. وآه لو عرفنا ما عرفته أنت بعد فوات الأوان.. فنتعلم كيف نقول لأعزائنا وهم على قيد الحياة إننا نحبهم كما أحبونا.. ونفتقدهم كما يفتقدوننا.. ونحتاج إليهم كما يحتاجون إلينا.. ولو تعلمنا أن نشعرهم في حياتهم بما لا نكتشفه غالباً إلا بعد رحليهم، وهو أنهم حصن أماننا الذي كنا نحتمي فيه من هجير الحياة وشموع حياتنا التي تبدد ظلام قلوبنا وعقولنا.

وآه يا سيدتي لو تعلمنا كيف نشعرهم دائماً بأننا الأبناء مهما كبرنا والصغار مهما تقدم بنا العمر، ولو تعلمنا كيف نقبل الأيدي.. ونلثم الجبين إذن لأصبح طعم الدنيا أقل مرارة.. ولأصبحت الحياة أكثر أماناً وعدلاً.. ولأصبحنا نحن أكثر استمتاعاً بها وإقبالاً عليها واطمئناناً إليها، أما أنت يا سيدتي فليس لك عندي كلمات قاسية كما تتوقعين.. لأنك تتطهرين الآن بالندم الصادق مما اقترفت.. لأنك عرفت طريق طلب الصفح والمغفرة فواصليه غفر الله لك ولنا وللجميع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

طالب تعيس

مشكلتي في كلمة واحدة هي أني أحس بالفقر بكل معانيه طالب تعيس رغم أن أسرتي والحمد الله دخلها معقول (80 جنيها من معاش ضئيل لأب عجوز ومبلغ شهري من الأخ الأكبر) ونحن خمسة أفراد لذا يكفينا هذا الدخل بالكاد للطعام فقط. وأنا أعمل منذ صغري في الإجازات الصيفية وما أدخره من عملي أشتري به لنفسي ملابس.. وأحتفظ بالباقي لأنفق منه على نفسي ومواصلاتي وكتبي خلال الدراسة حتى تنتهي السنة الدراسية، وتنتهي معها مدخراتي فأبدأ الرحلة من جديد، وهكذا وأنا على هذه الحال منذ الصف الأول الإعدادي.. ومنذ ذلك الوقت وإلى الآن بعد أن بلغت المرحلة الجامعية لم أخذ من أبي مليماً واحداً ولا من أخي ولهذا فكل تفكيري في "المادة".. وفي كيف أكون مليونيرا مثل مليونيرات.. الانفتاح.. وعندما أذهب إلى الجامعة أصاب بالاكتئاب والضيق الشديد، حين أرى طلاباً يرتدون الملابس الفاخرة ويركبون السيارات، وأنا في جيبي مبلغ يقل عن الجنية وهم في جيوبهم عشرات الجنيهات، وقد حاولت مراراً أن أتقبل وضعي، وأن أعيش كما يعيش من هم مثلي، لكني لا أستطيع ذلك لأني لا أفكر إلا في المال.. فأنا أريد أن ارتدي ملابسي من شارع الشواربي.. وأريد أن ارتدي أفخر الملابس المستوردة، وكلما رأيت شخصاً يرتدي الملابس الغالية أصاب بالضيق لأني لا أستطيع أن أرتديها بل ولا أستطيع الاقتراب من المحلات التي تبيعها، لأن أسعارها خيالية. والسؤال الذي يوشك أن يدمرني هو: لماذا أنا فقير ثم كيف أصبح غنياً.. إنني أرجوك أن تنشر هذه المشكلة وأن ترد عليها الرد المناسب لعله يعيد إليّ صوابي المفقود، وفي انتظار كلماتك العذبة التي ستهديني إلى ما فيه الخير والتوقيع طالب تعيس.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

باختصار: أنت ببساطة يا صديقي فقير لأنك ولدت في أسرة فقيرة مثلك مثل الملايين في بلادنا.. ومثل الأكثرية الصامتة في العالم كله، وسوف تصبح غنياً حين تعمل وتكد بإرادتك القوية.. التي أستشفها من رسالتك لسنوات طويلة تستطيع خلالها أن تصنع قصة نجاح تحقق لك ما تريد، فإذا كان هدفك المال فسوف تحصل عليه.. لكن المهم هو كيف.. ومن أين؟ فإذا كانت رغبتك فيه حادة بهذا الشكل فإني أخشى عليك من أن تقودك هذه الرغبة إلى المهالك.. فمن حقك أن تتطلع إلى حياة أفضل ومن حقك أن تريد لنفسك أفضل الأشياء وأفخر الملابس، لكن بشرط أن تتناسب تطلعاتك مع قدراتك ومع إمكانياتك في كل مرحلة من مراحل العمر.. فالهوة الواسعة بين الأحلام الكبيرة والواقع البسيط لا تثمر سوى العذاب والتمزق النفسي والبعد عن الواقع.. وليس بمستبعد أن تقود الإنسان للانحراف والجريمة.. لذلك فمن حقنا أن نحلم بحياة أفضل ولكن ليس من

حقنا أن نعذب أنفسنا بالأحلام المستحيلة، والأحلام ليس عليها "جمرك" كما يقولون، فلا بأس من أن نحلم لكن البأس كل البأس في أن تفسد علينا هذه الأحلام حياتنا، وأن تعمينا، عن حقائق أوضاعنا وأن تفقدنا الرضا بحياتنا، وأن تثير سخطنا على الدنيا وعلى الآخرين. ومن الرحمة بأنفسنا قبل غيرنا ألا نعذبها باشتهاء ما لا نستطيع الحصول عليه، لمجرد أن غيرنا يملكه.. والغنى الحقيقي يا صديقي هو في الاستغناء فالشيء الذي لا أريده لا يساوي عندي مليماً واحداً، ولو بلغت قيمته الملايين.. والشيء الذي لا أحتاج إليه لا يساوي في بورصتي الخاصة جنيهاً واحداً ولو تبارى الآخرون لدفع الألوف للحصول عليه. فإذا كنت لا تفكر إلا في "المادة" ويشغلك باستمرار التفكير في كيف تصبح مليونيراً كما تقول.. فلسوف تحصل غالباً على المال.. وليس مستحيلاً أن تصبح مليونيراً ذات يوم لأن لكل إنسان هدفه، لكنك لن تكون "غنياً" أبداً في يوم من الأيام بالمعنى الذي شرحته لك لأنك مهما حققت من ثراء فسوف تتطلع إلى ما هو أكثر منه.. وإذا كنت الآن يضايقك أن ترى زملاءك يركبون السيارات وفى جيبوهم عشرات الجنيهات. بغير أن ترد نفسك عن ذلك بأن لكل إنسان ظروفه وحياته. فلسوف يضايقك في المستقبل أنك تركب "الفولفو" وزملاؤك من الأثرياء يركبون المرسيدس. ولسوف يضايقك فيها بعد أنك تركب المرسيدس "وزملاؤك" يركبون الطائرات الخاصة. وهكذا إلى ما لا نهاية لأنك ستظل مشغولاً طوال حياتك بالتفكير في "المادة"، دون أن تصل أبداً إلى واحة الأمان، فاختر لنفسك ما تريد، فأنت المسؤول عن اختيارك وأنت من سوف يدفع ثمنه في النهاية.. لكنك لو أنصفت لرضيت عن كفاحك وعن إرادتك القوية التي استطعت بها أن تكفل نفسك منذ بداية المرحلة الإعدادية. ولعرفت أن من يستطيع أن يعتمد على نفسه منذ الصغر يستطيع أن يحقق أحلامه "الواقعية" في الكبر. وأن أفضل أيامه لم تأت بعد ولسوف تأتي بإذن الله بالكفاح والصبر والإرادة فركز اهتمامك في حياتك ودراستك.. وأنس الآخرين تماماً لكي لا يشتت انشغالك بهم انتباهك للطريق الذي تسير فيه مع تمنياتي لك بتحقيق الآمال.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أحلام كبيرة

أكتب إليك بعد أن جئت من مدينتي خصيصاً لكي أقابلك، فلم أجدك بكل أسف، وأبدأ أولاً بأن أعرفك بنفسي، أنا زوجة وأم لأربعة أطفال أكبرهم في المدرسة الثانوية وأصغرهم في المدرسة الابتدائية.. وزوجي يعمل مدرساً.. لقد تزوجت منذ 15 سنة وبدأت حياتي معه في مدينة صغيرة أشبه بالقرية على مسافة غير بعيدة من القاهرة. وككل الزوجات بدأت حياتي الزوجية والدنيا مشرقة بالآمال.. كان شاباً مقبولاً.. وكنت شابة مقبلة على الحياة.. مطالبي من الدنيا بسيطة. أصحو مبكرة لإيقاظه وإعداد الشاي له ويخرج إلى مدرسته.. فأتفرغ لبيتي الصغير وهو بيت فعلاً وليس شقة ضيقة كعلب السردين التي أراها في القاهرة وإنما هو بيت ريفي صغير غرفه واسعة وسقوفه عالية وممراته طويلة. ولم يكن يمثل لي أية مشكلة.. فأنا شابة وأستطيع القيام بمسؤولية نظافته كما أني أستطيع أن استعين بإحدى الفلاحات لمساعدتي لقاء أجر زهيد.. وأحياناً بلا أجر نهائياً من باب الإشفاق عليّ من اتساع البيت.. أو من باب الشهامة وأحياناً من باب تبادل المنافع كأن أوصي زوجي بأن يعطي ابن الفلاحة درساً مجانياً لتقويته في مادته وهكذا. وكان أكثر ما يتيحه لى هذا البيت من بهجة هو أن حوشه يتسع لمكان لتربية الطيور.. فكنت سترى الطيور صغيرة وأربيها وبعد فترة لم أعد أشتري الطيور لأنها تفرخ عندي وتنمو. وكانت الحياة رطيبة أصنع في بيتي معظم ما يأكله.. حتى المكرونة كنت أصنعها من الدقيق، أصنع خبزنا بيدي.. وأصنع السمن الذي نطهو به طعامنا.. وأصنع الجبن الذي نأكله في العشاء وفي الصباح الباكر كان للبن الطازج المحلوب قبل لحظات يأتيني وهو مازال دافئاً برغاويه، وفى أيام الخميس كنا نسافر إلى القاهرة القريبة كل شهر مرة، فندخل السينما في شارع عماد الدين، وفي الأيام العادية كان يعود من مدرسته فيتناول طعام الغداء وينام قليلاً ثم يصحو ويشرب القهوة ويجلس معي فنشاهد التليفزيون قليلاً ثم ينفرد بنفسه في المندرة لتحضير الدروس أو يستقبل تلميذاً لإعطائه درساً خاصاً. أو يستقبل الأقارب حيث يسمرون حتى قرب منتصف الليل. كان محبوبا من الأقارب وأهل المدينة ومن تلاميذه. وفي الليل ننام ونحن قريرا العين.

وكانت الحياة هادئة في معظم الأحوال.. فلا خلافات بيني وبينه.. والحق أني أحببته لحسن معاشرته رغم أني تزوجته زواجاً تقليدياً، ولقد زادت الروابط بيننا بمجيء الأبناء واحدا بعد الآخر، وبمجيئهم قل خروجنا من البيت لكن زادت سعادتنا ومرحنا بهم.

وكأن الله كان يدبر لكل مرحلة من عمرنا ما يناسبها من الرزق.

فعندما كنا وحيدين كان مرتبه الضئيل ورزقه المحدود من الدروس الخصوصية يكفيان بالكاد مطالب حياتنا، وعندما جاء الأبناء تباعا حدث تغير مهم في حياتنا بدأ تدريجياً، حتى أني لم أشعر به إلا وهو في قمته فلقد بدأت الدروس الخصوصية تدر عليه دخلاً كبيرا لم نكن نحلم به، و، وأصبح الإقبال عليه كبيراً.. كما رفع هو أجره عدة مرات حتى أصبح يتقاضى أعلى أجر كمدرس خاص في

منطقته، ونزلت علينا النقود من السماء فأمطرت خيرا كثيرا في بيتي الصغير. فجددنا البيت وبلطنا الحوش الترابي.. واشترينا غسالة حديثة وتليفزيونا ملونا وأدخلنا التليفون إلى مسكننا وأصبح زوجي يملك سيارة خاصة يقضي بها مشاويره.. ويذهب بها أحياناً إلى منازل التلاميذ، وأصبح لنا رصيد في البنك للأولاد وأصبحت أيضا أشتري ملابسي من القاهرة. وشغلتني رعاية الأولاد، عن أشياء كثيرة كنت أقوم بها وأنا سعيدة في بداية حياتي. فلم أعد أجد وقتاً لتربية الطيور.. وكففت عن صنع الخبز البيتي وأصبحنا نشتريه من السوق.. كما توقفت بالطبع عن صنع المكرونة والشعرية وأصبحنا نشتري المكرونة المستوردة "أم الكيلو" بجنيه.

وأصبحت "المنظرة" التي يستقبل فيها الضيوف مفروشة بسجاد بلجيكي بعد أن كانت مفروشة بالكليم المصري.

ولم يكتف زوجي بما حققناه من نجاح لم أكن أحلم به.. ولا هو كان يحلم به. وإنما قرر بمشورة من بعض الناس بعد أن كثرت النقود في يديه أن يدخل "كار" السيارات فاشترى سيارة نقل، واتفق مع سائق على العمل عليها، وبدأ يؤجرها لمن يريد، ودخلنا في مشاكل السيارة كل يوم، وأصبحت جلسة المنظرة كل يوم ولا حديث فيها إلا عن السيارة. فإذا تأخر السائق في مشوار كان به خارج المدينة. لم يغمض له جفن طوال الليل، ويظل يتقلب في فراشه إلى أن تعود السيارة ويطمئنه السائق على أن كل شيء تمام.

ورغم ذلك فلقد كان الحال "ماشياً" والنقود من الدروس وسيارة النقل وفيرة. ورصيد البنك زاد بحمد الله وملابس الأولاد أصبحت من بورسعيد وبفضل الله.. لكن زوجي لم يكتف بذلك وقرر أن يدخل عالم رجال الأعمال من أوسع أبوابه، فقرر ترك الدروس الخصوصية واتجه تفكيره إلى شراء أكثر من سيارة نقل كبيرة دون أن يكون له رأس المال الكافي. وكان لي قريب سافر إلى الدول العربية منذ 9 سنوات ويعمل هناك، فأشار عليّ زوجي أن أكتب إليه لأعرض عليه أن يرسل إلينا عربات قلاب وموتورات فيبيعها زوجي ثم يرسل إليه بثمنها مع ربحه، وفعلاً أرسل إلينا قريبي سيارتين وموتورين. ووصلا إلى السويس ولم يكن معنا رسوم الجمارك عليها فتركناها في الجمرك لمدة 6 شهور حتى استطعنا تدبير المطلوب ثم أخرجناها. وبدلاً من أن يعرضها زوجي للبيع ويبيعها فيكسب فارق السعر. ويعيد إلى قريبي ماله ونفوز نحن ببعض الأرباح، قرر زوجي أن يدخل عالم الثراء الواسع وأن يعمل بالمقاولات مستخدماً هذه السيارات، وقال أيامها إن الإنسان تعرض عليه فرصة الثراء الواسع مرة واحدة في العمر فإما أن ينتهزها.. ويوفق فيجد نفسه " هوب.. فوق " على طريقة على بيه مظهر! ويعيش عالم الأثرياء ويتعامل بمئات الألوف.. ويتكلم بالملايين. وإما أن يرفضها فيظل يزحف "تحت" يتعامل بالقروش والجنيهات ويمضي عمره في الظل.

وهكذا قرر زوجي أن يكون " هوب.. فوق "... وفوق جداً، فظل يسعى جاهداً حتى حصل على مقاولة رصف أحد الطرق وهو ليست لديه أي خبرة فالمقاولات ولا برصف الطرق والأعمال الترابية، ولا يعرف أي شيء عن خبايا هذا العالم. وبدأ

تنفيذ المقاولة لكن ماذا يصنع بعدد ٢ قلاب فقط لا غير، فاضطر أن يستدين من البنوك بضمان العملية ليدفع غطاء خطاب الضمان وليشتري قلابات ومعدات جديدة. وطوال هذه المدة لم نكن قد دفعنا شيئاً لقريبي اعتمادا على أننا سوف ندفع له مما نحصل عليه من "مستخلصات" من العملية، ثم ندفع للبنوك ديونها ويكون الباقي مكسباً لنا، حتى ولو فزنا بثمن سيارة قلاب جديدة واحدة.. لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ففي منتصف العملية طالبنا قريبي "للأسف" بديونه وفوائدها وهو يعلم علم اليقين أننا لم نقبض مليماً واحداً فكتبنا على أنفسنا كمبيالات وكتب زوجي "شيكات ضمان" للمبلغ بقيمة 100 ألف جنيه، وأعطيناه الشيكات والكمبيالات راضين لكي يطمئن قلبه.. ولم نكن ندرك ساعتها ما سوف يفعله قريبي فلقد ذهب سامحه الله يشكونا في المحكمة وحكمت له المحكمة وحجز على 4 سيارات قلاب. وطبعا كانت "صدمة"، لا أستطيع أن أصفها ليس علينا فقط وإنما على العائلة والبلد كله! وارتبكنا وتوقف العمل بعد أن أنجزنا نصفه تقريبا وذهبت إلى قريبي هذا من وراء زوجي أرجوه، لكن لا فائدة معه وذهب إليه زوجي ومعه ناس من أهل المعروف ليؤجل دفع الفلوس أو يسحب القضية فلم يرض وفشلت كل الطرق السلمية، ولم يكن هناك بد من توكيل محام، وبدأت رحلة المتاعب فكل يوم جلسة وكل يوم حكم له وحكم لنا وتغير المحامي أكثر من مرة وبدأ السلف من جديد وكل مرة نخرج بكفالة وصدق المثل الذي يقول إنه عندما تقع الذبيحة تكثر عليها السكاكين فلقد بدأت البنوك تطالب بديونها وهكذا "انهالوا كلهم علينا فالبنوك"اشتكت" وتاجر الكاوتش "اشتكى" ومقاول الحجر "اشتكى" وبتوع السلف اشتكوا. وتراكمت فوقنا القضايا ومعظمها شيكات بدون رصيد مجموعها حوالي 300 ألف جنيه. في نفس الوقت الذي لم تصرف لنا فيه الشركة إلا القليل على قدر ما تم من أعمال وبسبب غرامات التأخير ضاع التأمين وضاعت حياتنا وبدأنا نتدهور من "فوق" إلى "هوب تحت"! حتى عدنا كما بدأنا بل وأقل مما بدأنا لأن الدنيا لا ترحم ومطالب الأولاد كثيرة.

وليت المشكلة وقفت عند واحد منا.. فالكارثة أن الشيكات كلها مناصفة بيني وبين زوجي، وقد حصلنا على أحكام حبس كثيرة ودفعنا كفالات أكثر، ولكنها بالسلف ولا نعرف متى سنردها - ونحن الآن لدينا معدات واقفة وتحتاج فقط إلى إصلاح لكن الإصلاح يحتاج إلى ألوف الجنيهات، ولا نملك منها شيئاً وأنا لم أعترض على زوجي في شيء مما فعله لعلمي أن على الزوجة أن تقف إلى جوار زوجها، وقد نسيت أن أقول لك إني كنت قد أعطيته توكيلاً عاما وأنه كتب كل شيء باسمي حتى القروض كلها باسمي وأنا أعيش في دوامة خوفاً من أن يحكم في القضايا فعلاً، وأترك أولادي بغير أن يرعاهم أحد. ورغم كل ما جرى لنا ورغم ما في الحياة من المشاكل، فمازال عندي أمل في أن تشرح المشكلة ببساطة فتمتد إلينا يد رحيمة تنتشلنا من هذه الهوة السحيقة. وأرجو أن تشاركني المشورة والحل وأيضاً أن يشاركني ذوو القلوب الرحيمة!."

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

أية قلوب رحيمة هذه التي تنتظرين منها أن تشاركك الحل وأن توفر لكما 300 ألف جنيه، لإنقاذكم من هذه الهاوية! إنكما لستما في حاجة إلى "قلوب".. وإنما إلى "عقول" اقتصادية تدرس معكما الموقف.. وتبحث معكما كيفية تصفية هذه التركة الثقيلة.. وكيفية إصلاح أوبيع هذه المعدات الرافدة أو كيفية مشاركتكما تنفيذ مابقى من هذه العملية الكسيحة لسداد الديون أو جدولتها بالتفاهم مع الدائنين، وأولهم قريبك هذا الذي تلومينه وما هو بملوم، لأن الملوم الحقيقي هو من تاجر بغير ماله.. ومن أقحم نفسه على مجال لا خبرة له به ولا قدرة له عليه.. وكل إنسان ميسر لما أعد له. وزوجك لم يكن ميسرا للنجاح في هذا المجال الذي لا أعرف كيف يسمح لكل مغامر بدخوله فندفع نحن الثمن خراب المشروعات.. وتأخرها.. وسوء حالها! لقد كانت كل الظروف الموضوعية ضد نجاح زوجك في هذا المجال الذي لا يعرف عنه شيئاً لكنه اقتحمه مع ذلك بمنطق هوب.. فوق لأنه كغيره من المتعجلين لا يؤمنون بمنطق التدرج ولا بضرورة الكفاح الطويل في مجالات قريبة من خبراتهم للوصول إلى النجاح والثراء.. وإنما يريدون أن يغمضوا العيون ثم يفتحوها فجأة فيجدوا أنفسهم فوق السحاب.. وبأي طريق.. بمال الغير لا مانع.. بشراء ذمم الغير لا مانع. وأنا لا أتهمه بشيء لكني فقط أعجب وأتساءل كيف حصل مدرس لا سابق خبرة له بأعمال الرصف ولا مال لديه ولا معدات سوى 2 قلاب على مقاولة لرصف طريق عام ينفق عليه من مال الشعب؟ هل هناك وسيلة أخرى غير المسالك الخلفية التي ندفع نحن ثمنها من أموالنا وما ينبغي أن نحصل عليه من حقوق وخدمات؟

أننا لسنا ضد أن يريح أحد.. ولا أن يثرى أحد.. فمن يثرى من طريق شريف، وفي مصر الفقيرة بالذات ينتشل معه غالباً أسرة كبيرة وأقارب عديدين، بل وأصدقاء أيضاً من الفقر لأنه يهيء لهم أعمالاً وأبواباً للرزق.. لكننا بالتأكيد ضد أن ينطلق الجميع في سباق محموم للربح والثراء بلا ضوابط "ولا معايير ولا قيم.. لقد قال أمير المحدثين سفيان الثوري من كان معه فضل مال فليصلحه.. فإن الرجل إذا احتاج كان أول ما يبذله.. دينه!" وهذا صوت العقل، لكن زوجك لم يستجب له فلقد كان معه فضل مال "يرضي أي عاقل غيره لكنه لم يصلحه وإنما أراد أن يضاعفه عشرات المرات في غمضة عين، وهذا ضد منطق الأشياء لقد كان بمقدوره أن يفيد نفسه ومجتمعه لو أقام مزرعة دواجن مثلاً.. أو مشروعاً زراعياً صغيرا أو أي مشروع صغير قريب من مجال خبرته أو حياته، لكنه لم يفعل فظلم نفسه وظلم غيره.. وهذه هي جناية المغامرين على غيرهم وعلى مجتمعهم، إنك تقولين يا سيدتي إنك لم تعارضيه "في مشروعاته" لأن من واجب الزوجة أن تقف إلى جواز زوجها دائماً وأنا أقول لك نعم، لكنه من واجبها أيضا أن تحميه من نفسه إذا شردت.. وإذا ضلت.. وإذا تطلعت إلى ما لا طاقة لها به.. وهي إذ تفعل ذلك إنها تدافع عنه شخصياً وعن أسرتها وأبنائها ونفسها.. وليست أبرئك في الحقيقة من بعض المسؤولية عما تدهور إليه الحال.. فلقد كان من واجبك أن ترفضي أن يستثمر مال قريبك في غير ما اتفق معه عليه، وكان من واجبك أن ترديه عن هذا

الطموح الضاري إلى الثراء بلا مبررات موضوعية سوى الرغبة في الثراء العريض، لأن الرغبة وحدها لا تكفي يا سيدتي فكلنا قد نرغب.. لكن من منا يستطيع؟ هذا هو السؤال. إني آسف لأنني لا أملك لك شيئاً.. ولأن هذه "الهموم التجارية" لا تدخل في دائرة اهتمامات بريد الجمعة.. لكني نشرت رسالتك استجابة لرجائك ولأن فيها بعض العبرة لمن يعتبر..

والسلام!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أنشودة البساطة!

سيدي أريد أن أبدأ رسالتي إليك بأن أكون صادقة معك في كل شيء.. فأقول لك إنى أكتب إليك عن طريق ابني التلميذ بالمدرسة الثانوية فأنا أقول وهو يكتب.. وليس هذا لأني أجهل القراءة والكتابة أبدا فأنا أقرأ وأكتب لكن خطي ضعيف.. وأنا أقرأ الأهرام بغير صعوبة.. ويقرؤه أولادي بسهولة أكثر.. وكثيرا ما طلبت من أحدهم أن يقرأ لي "المشكلة" المكتوبة في الجمعة من باب الاستسهال إذا تعبت من القراءة.. أتعزى بها كثيرا.. فالدنيا كلها مشاكل يا سيدي.. ومشكلتي واحدة من هذه المشاكل.. فأنا عاملة بالتربية والتعليم يعني "دادة" في إحدى المدارس كما يقولون عنها في المدارس الخاصة أو "فراشة" كما يقولون في مدارس الحكومة.. ودادة أو فراشة لا يهم فكلها أشغال شريفة.. ولقمة عيش من باب شريف "نتقوت" بها.. ونعول أولادنا..

وقد بدأت مشكلتي منذ عشر سنوات حين طلقت من زوجي بعد أن استحالت الحياة معه، و "أبرأته" من كل شيء و وأخذت أولادي الثلاثة وعاهدت الله أن أكافح "عليهم" حتى أربيهم.. وكافحت.. وأدخلتهم المدارس جميعاً وكنت حين طلقت من زوجي قد بحثت عن سكن فوجدته في غرفة صغيرة بحي محرم بك بالإسكندرية، وكان هذا السكن عبارة عن غرفة مساحتها2 متر في 2 متر يسمونها "خزنة" لأنها ليس بها نوافذ ولا تطل على شيء. وإنما هي مثل صندوق كبير له باب، ولما طلقت من زوجي أخذت عفشي وكان أثاث غرفة نوم. فلم تتسع الخزنة إلا للسرير فقط فبعت الدولاب.. واحتفظت بالسرير، ومضت الحياة بنا كان الأولاد صغارا فلم نحس بالمشكلة.. كانوا يقضون النهار في الحارة والليل نجتمع كلنا في الغرفة نأكل فوق السرير ونسمع الراديو وننام، ولكن السنوات جرت بعد ذلك وكبر الأولاد وأصبح الابن الأكبر والبنت الوسطى في المرحلة الثانوية، وأصبح الابن الأصغر في المدرسة الإعدادية، وأصبحت "مذاكرتهم" مشكلة حياتنا فحياتنا كلها تجري فوق السرير.. المذاكرة والأكل.. والنوم ونحن جميعا ننام فوق هذا السرير "خلف خلاف" فنجعل للسرير مخدتين كل واحدة في اتجاه وينام كل اثنين في اتجاه، فيكون رأس هذين في مواجهة أقدام هذين وهكذا. وليست هذه مشكلتنا الوحيدة.. المشكلة الأخطر هي رطوبة الخزنة التي أصابتني بمرض الكلى ورغم ما أعانيه من آلام فأنا أتحمل الألم وأكتمه، لكي أخلق الجو السعيد الذي يتربون فيه.. ولأشجعهم على المذاكرة وكل أملي أن يتعلموا وأن يحصلوا على شهادات ولو حتى متوسطة، لأن العلم "حلو" حتى لو الولد ما اشتغلشى في وظيفة يبقى معه سلاح يشتغل به في أي وقت.. لو طريقه انسد في الحياة، وأنا أقول لأولادي خذوا شهادات واشتغلوا بعد كده زي ما انتو عاوزين إن شا الله تشتغلوا زبالين.. مادام عمل شريف ورزق شريف خلاص، وأقول لهم أيضاً إن العلم إذا كان "لازم" للولد مرة فهو "لازم" للبنت ألف مرة لأن البنت ضعيفة ومحتاجة إلى سند في الدنيا الصعبة، وبصراحة كمان علشان تلاقي عريس يتجوز واحدة لا عندها مال ولأي جاه، وأنا تعلمت زمان في المدرسة الابتدائية، لكن وجودي في مدرسة علم

مع أساتذة مدرسين ومدرسات خلالي أعرف قيمة التعليم أكثر، المهم يا سيدي أنا لا أكتب إليك لأقول لك رأيي في التعليم أو في الحياة.. وإنما أكتب إليك لأقول لك، إن مشكلتنا قد كبرت مع نمو الأولاد، "الخزنة" ضاقت بنا وكلما تقدموا في دراستهم زادت مشكلتنا، وقد حاولت أن أجد مكاناً أوسع لأنتقل إليه أنا وأسرتي الصغيرة فلم أجد أمامي سوى المساكن التي تطلب آلاف الجنيهات.. وليس لنا "واسطة" تساعدنا في الحصول على شقة من المساكن الشعبية، فنحن ناس غلابة كما ترى ومدرستنا حكومية لا يدخلها أبناء الناس الكبار الذين يمكن أن "أترجاهم" يتوسطوا لدى آبائهم للحصول لنا على شقة في المساكن الشعبية.. وفى لحظة يأس قررت أن أكتب إليك لعلك تستطيع أن تكلم أحداً من أجلنا فهل تفعل يا سيدي من أجل إنقاذ أسرة صغيرة تكافح بشرف في الحياة، ويعمل كل أفرادها في الصيف على الشواطئ يبيعون كل شيء من الذرة المشوية إلى الأمشاط لكي يوفرو مصاريف التعليم عندما تبدأ الدراسة.. لأنهم في موسم الدراسة ينقطعون عن العمل ويتفرغون للمذاكرة وتصبح مشكلة المكان هي أكبر مشاكلهم.. والسلام عليكم ورحمة الله..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

إنني يا سيدتي لا أملك لك سوى نشر سالتك هذه التي أعتبرها بحق أنشودة للبساطة.. وصورة صادقة لكفاح أسرة مصرية.. وقيمها الشريقة المتحضرة ونظرتها الصحيحة للحياة.. أسرة كآلاف الأسر المصرية التي تؤمن بشرف العمل والكفاح.. وتؤمن أيضا بأن العلم حلو !.

يا إلهي.. كم في هذا التعبير البسيط من معان عميقة! نعم يا سيدتي إن العلم حلو حقاً.. لكنه يصبح "أحلى" لو توافرت للبشر الظروف الطبيعية لتلقيه ولاستيعابه، وأبسطها أن يحيوا في مساكن الآدميين لا في صناديق لحفظ البضائع ولا ينام فيها البشر "خلف خلاف" ولا شك أن أبناءك هؤلاء أبطال مثلهم في ذلك كمثل آلاف من أبطال الحياة في بلادنا الذين يغالبون ظروفهم الصعبة، ويشقون طريقهم في المدارس والجامعات، ولا يفقدون إيمانهم بأنفسهم ولا بالمستقبل في أسوأ الظروف المعيشية.. يحققون المعجزات!..

إنني أنشر رسالتك هذه أملاً أن تجد صدى لدى المسؤولين بمحافظة الإسكندرية لدراسة حالة أسرتك الشريفة المكافحة وتقرير أحقيتها في الحصول على مسكن شعبي ولو بعد سنوات. دفعني إلى هذا الأمل أني قد شهدت عن قرب معجزة أخيرة انتهت بحصول أسرة كاتبة رسالة حالة انهيار " الأم و 4 فتيات " على مسكن من المساكن الشعبية لمحافظة الجيزة في إمبابة سوف تتسلمها في مارس القادم بإذن الله، خلال احتفال محافظة الجيزة بعيدها القومي، وكانت بداية الرحلة الطويلة إلى ذلك والتي شهدت قيام أكثر من لجنة بزيارة هذه الأسرة في مسكنها المشترك وتقرير أحقيتها في الحصول على المسكن.. كانت بداية هذه الرحلة تأشيرة من

محافظ الجيزة الشاب الدكتور عبدالحميد حسن على قصاصة بريد الجمعة التي نشرت فيها قصة الأسرة، بدراسة حالتها، ثم تلتها جهود مشكورة بذلها السيد طاهر الأسمر سكرتير عام المحافظة الذي استقبل الأسرة ورحب بها فعسى أن تحظى رسالتك هذه يا سيدتي بتأشيرة مماثلة من المسؤولين في المحافظة الإسكندرية وعسى أن تتكرر المعجزة في الثغر فتصل بك وبأسرتك إلى نفس النهاية السعيدة.

والله ماضٍ أمره والسلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

البئر القديمة!!

سأبدأ قصتي من البداية فأقول إنني أحببت خلال دراستي بكلية الطب زميلا لي، وتعاهدنا على الزواج ووضعت كل أمالي فيه.. كانت ظروفنا تختلف إلى حد كبير.. فأنا شخصية متفائلة بطبعي أؤمن بأنه ليس هناك مستحيل.. والدنيا أمامي جميلة دائما مهما حدث فيها.. وفي أشد الأوقات ضيقاً أتفاءل وأقول دائماً إن بعد العسر يسرا، ورغم أني خجول إلا أني أحب الناس ولا أضمر لأحد شرا، وقد نشأت في بيت مستقر لا يعرف العواصف ولا المنازعات، ورباني أبي على الصدق والعفاف والروابط الأسرية المتينة.

أما هو فلقد نشأ في بيت مفكك.. الأب فيه على قدر كبير من الأنانية ويؤمن بأن المال هو كل شيء.. لذلك تحولت حياتهم الأسرية إلى جحيم ووقع الطلاق بين الأب والأم، ونحن مازلنا ندرس في كلية الطب. وتأزم خطيبي كثيرا، وبدأ يتعثر في دراسته وخصوصا بعد أن تزوج أبوه أخرى وأنجب طفلاً أصغر من سن أحفاده.

وفي هذه الأيام واجهت معه أياماً صعبة ووقفت إلى جواره وأكدت له أني أحبه لشخصه لا لأي شيء آخر.. وكافحت مع أهلي الذين رفضوا الاعتراف بالخطوبة.. ورفضت كل من تقدموا لي للزواج خلال هذه المرحلة.

وكرست حياتي، له كنت أشجعه على اجتياز هذه المحنة ومواصلة الدراسة كنت أنقل له المحضرات.. "وأحجز" له في المدرجات وأشرح له ما غاب عنه في الدروس.. وكدت أهمل دراستي إهمالاً تاما من أجله ومع ذلك فلقد كان يرسب وكنت أنجح لأنه كان مهزوماً داخلياً من ظروفه.. ولم أتخل. عنه رغم ذلك. وفي هذه الفترة كثرت أخطاؤه وتحملتها بصبر غريب كأن يشرد بعيدا عني، ويتعرف على فتيات أخريات، وينجذب إليهن فأصبر إلى أن يعود.. وكان يعود في كل مرة فيعتذر، وأصفح عنه ولا يتأثر رصيده لديّ من الحب أبدا.

وواصلت الكفاح معه وتخرجت في كلية الطلب وعملت كطبيبة وهو مازال يتعثر في دراسته وتعذبت معه حتى استطاع في النهاية أن ينهي دراسته بتفوق باهر، وأن يتخرج في الكلية وبدأت رحلة الكفاح مع أسرتي لكي تقبل إتمام الزواج حتى سلموا جميعا بأن حبي له حب صادق، وتزوجنا وكان قد حقق نجاحاً عملياً طيباً وكون نفسه في فترة قصيرة، فطلب مني اعتزال العمل والتفرغ للبيت فلم أعارض لأنه يؤمن بأن وجود الزوجة في البيت يحقق له الاستقرار ولعلي رحبت برغبته لأني أيضاً من المؤمنات بأن رسالة المرأة بعد تعليمها هي بيتها وأسرتها إلا في حالات الضرورة.

وطلب مني زوجي الحبيب أن نؤجل إنجاب الطفل حتى يتمكن من توفير المستوى الاجتماعي اللائق برعاية طفل وتعليمه فقبلت رغم أننا نعيش في مستوى مادي رائع بالنسبة لمن حولنا. وربما أكون قد اقتنعت بأسبابه وهو أنه لا يريد أن ينجب أطفالاً يعرضهم للحرمان كما تعرض هو.

ومضت حياتي معه وأنا سعيدة به، وأحس أني قد وصلت إلى بر الأمان بعد رحلة كفاح استمرت عشر سنوات ابتداء من مرحلة الدراسة حتى استقرت دعائم أسرتنا. ألبي لزوجي كل طلباته. بل وأغالي في ذلك إلى حد التدليل.. لا أسمح لنفسي أن يراني إلا وأنا نظيفة معتدلة الملبس.. وبيتي دائما في غاية الجمال والنظافة ومطبخي دائماً يلمع كأنه معروض للبيع وطعامي شهي بشهادته هو قبل غيره.

لكن يا سيدي يبدو أن دوام الحال من المحال كما يقولون.

فمنذ عامين تغير زوجي كثيرا فأصبح متقلب المزاج إلى درجة كبيرة يغضب لأتفه شيء.. ويسارع إلى النكد من كل طريق.. صامت دائماً وأتعذب بصمته فإذا استرضيته يتهمني بأني أغضبته في الشيء الفلاني أو الشيء العلاني.. وعندما أبكي وأقسم له أني لم أقصد إغضابه وأني لم أكذب عليه في حياتي مرة، يرق قلبه لي ويحاول إرضائي.. وهو متقلب كليل الشتاء. عندما يحب يحب كالسيل الجارف ويكون نهرًا من الحنان والعطاء، وعندما يغضب يكون في منتهى القسوة والجحود.. ولا وسط بين الحالين.. ومع أنه من نوع الرجال الذين لا يرفعون أصواتهم عند الغضب إلا أن كلاته تكون أشد قسوة من طعن السكاكين.

ثم بلغت الأزمة قمتها منذ أسابيع حين صارحني بأنه أصبح لا يحبني وأنه لا يستطيع أن يعاشر زوجة لا يحبها. فانهرت وسألته عن أسباب ذلك فقال كلاما طويلًا ملخصه: أنني زوجة فارغة من الداخل! لأني كرست حياتي له ولبيتي وليس للقراءة وللاطلاع ولأني لا أعرف المجتمعات ولا أحبها! سألت نفسي كيف أكون فارغة وقد حصلت على بكالوريوس الطب وكنت ناجحة في دراستي وفي عملي، إلى أن تركت العمل باختياري إرضاء له، وكيف أكون فارغة وقد وقفت إلى جواره في كل محنه الدراسية والعائلية حتى تجاوزها بعد عناء لا يعلم إلا الله حجمه، وأنا صامدة معه وصابرة عليه وعلى تقلباته حتى شق طريقه وساعدته على أن يكون طبيبًا ناجحاً.

ثم إني نظرت إلى النساء من حولي فوجدتهن جميعاً على قدر عال من السطحية والهيافة مثلي.. ولم أر واحدة منهن تمضي النهار ممسكة الكتب والمراجع لكي تكون على مستوى زوجها ولكي لا تكون فارغة من الداخل!.

فقل لي بربك فيم أخطأت.. هل كان لابد أن "أدور" وأعرف غيره قبله لكي أعرف كيف أعامله وأكسبه؟ أم هل كان لابد أن أخرج للمجتمع بكل خيره وشره لكي أكتسب خبرة تعينني على فهمه وإجادة التعامل معه، إن مشكلتي هي أنني نشأت على الصدق وعلى اعتبار البيت هو محور حياة الزوجة.. فهل هذه أخطاء أم مزايا!؟

وماذا أفعل لكي أفهم زوجي وأحافظ عليه؟ إنني رغم ما أصابني من ألم وفجيعة أحاول أن أكون متماسكة أمامه وحنونة معه كعادتي رغم أن في قلبي نارا. وكلا ساورتني الشكوك فيه استعذت بالله من الشيطان الرجيم.. لأني رغم كل ما حدث

على يقين من أنه مظلوم. وأنه ليست هناك امرأة أخرى في حياته.. لكن الشيطان لا يرحم..

إن بيتي يتعرض لعاصفة تكاد تودى به.. وتهدد 12 عاما من عمري بالضياع فماذا أفعل؟ وكيف أحافظ على بيتي وما هو الصواب وما هو الخطأ!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

إن الخطأ هو أن تكوني غير نفسك التي فطرت عليها.. والصواب هو ألا تغيري من طريقك في الحياة ومن نظرتك المتفائلة المحبة لها. فالحق أني استشعر من رسالتك أن القضية ليست قضية سطحية أو تفاهة أو "فراغ من الداخل" كما تقولين وإنما هي في تصوري أعمق من ذلك بكثير!

فالكارثة أننا حين يجف نبع الحب في قلوبنا نجهد أنفسنا في تسقط الأخطاء وتلمس الأسباب لإقناع أنفسنا قبل غيرنا باستحالة الحياة مع الطرف الآخر.. لسبب منطقي بسيط هو أن "عين الرضا عن كل عيب كليلة.. وعين السخط تبدي المساويا"!..

وعين السخط أو عين البطر هنا هي التي تتكلم وترى فيك هذا الفراغ.. ولو أنصفت لرأت فيك قمة التضحية.. وقمة العطاء.. وقمة الحب والوفاء؟ فلقد كافحت معه كفاح الأبطال لكي يحتاز محنة وعثراته.. وتمسكت به رغم كل شيء.. وضحيت راضية بعملك ودورك في الحياة كطبيبة لتكوني له وحده ولبيته.. وضحيت بحقك في إنجاب الأطفال إرضاء له رغم أنكما تستطيعان إعالة طفل أو أكثر. فأي تضحيات أبلغ من ذلك؟.. وأى تفان في حياة الآخر.. أكبر من ذلك.

إنني أخشى يا سيدتي أن يكون زوجك هذا - وأرجو ألا أظلمه - من نوع الرجال الذين قال عنهم شكسبير في رائعته يوليوس قيصر: "إن بعض الرجال يصعدون درجات السلم فما أن يصلوا إلى أعلاه.. حتى يزدروا هذه الدرجات التي صعدت بهم إلى القمة!".

فما أكثر ما نرى من أشباه هؤلاء الرجال في حياتنا العامة والخاصة على السواء! وما أكثر ما يسيئون إلى الحياة والمثل العليا وإلى قيم التضحية والإيثار والوفاء بجحودهم ونكرانهم!.

وأخشى يا سيدتي وأرجو ألا أظلمه مرة أخرى من أن تكون شكواه من السطحية وفراغ الداخل هذه هي نوع من البطر واختلاق الأسباب والمعاذير! لأننا حين نتزوج لا نتزوج من دوائر معارف ولا من موسوعات علمية وثقافية وإنما من بشر نسكن إليهن ونبادلهن المشاعر والحنان والاهتمام، لأن زادنا العقلي نستطيع أن نحصل عليه بسهولة من أي كتاب.. أو من أي مكتبة صغيرة بالبيت.

ولأن المطلوب فقط هو أن يكون هناك خيط رفيع من التفاهم والمزاج المتقارب لو أمكن بين الشريكين، يسمح بتواصل الأفكار وتبادل بعض الاهتمامات بين الزوجين، وليس المطلوب أن يتماثل الزوجان في كل شيء كقوالب الطوب، ولا من المطلوب أن يمضيا العمر في مناقشات جدلية مستمرة عن الوجود.. والعدم! أو النظريات العملية أو الفلسفية أو في السياسة الخارجية، وليس من الضروري أن يكون كل زوجين هما مستر ومسز كوري مكتشفي الراديوم! وأن يمضيا العمر في أبحاث مشتركة!.

ولا أظن أن طبيبة مثلك حتى ولو كانت معتزلة يمكن أن تكون بينها وبين زوجها الطبيب الناشىء! هوة فكرية سحيقة.. تهدد حياتها بالانهيار. إلا أن تكون هناك مبررات أخرى، فنجاح الزواج واستمراره لا يرتبط أبدا بالمستوى العلمي للزوجين.. بل لعله في بلادنا على العكس من ذلك في بعض الأحيان ولعل زواج البسطاء الذين لا يشغلون أنفسهم كثيرا بمثل هذه "الكلاكيع" أكثر دواماً واستقراراً وأقل عرضة للتقلبات والعواصف من زواج غيرهم من العباقرة!.

وعموما فنحن في بيوتنا وبين أبنائنا لسنا بعلماء ولا مفكرين ولا أدباء ولا قادة عظام، ولا مسؤولين كبار ولا رجال أعمال كبار، ولا محامين ولا مهندسين ولا فنانين مشاهير، وإنما نحن في أسرنا أزواج وآباء فقط.. وينبغي ألا نكون غير ذلك. ومأساة البعض منا أنهم يحملون معهم شخصياتهم العامة ومناصبهم إلى بيوتهم فتفسد حياتهم الزوجية غالبا. وتفسد علاقاتهم الأسرية.. ويصعب التعامل معهم في كثير من الأحيان.. فنراهم ناجحين في حياتهم العامة ومرموقين.. وفاشلين في حياتهم الخاصة وتعساء!

وأنت فيما يبدو لي من رسالتك شخصية رومانسية عاطفية، وزوجك فيما يبدو لي شخص عملي أكثر منه رومانسيا، وأنت شخصية انفعالية إلى حد ما.. وهو في اعتقادي شخصية عقلانية خفيض الصوت.. لكن كلماته عند الغضب تكون كطعن الخناجر ولا بأس بهذا الاختلاف، لأنه من طبيعة الحياة لكني أخشى عادة من تصرفات هذا النوع الأخير من الرجال في حياتهم الخاصة أكثر مما أخشى من تصرفات "الجعجاعين" ذوي الأصوات العالية.. لأن هؤلاء يفرغون انفعالاتهم في حبال حناجرهم، أما هؤلاء فيبدون كالسطح الهادئ الذي "تمور" العواصف تحته ثم ينفجر مرة واحدة.. فتذر كل شيء!

إنني لا أريد بذلك أن أثير مخاوفك.. لكننى أريد لك فقط.. أن تتبيني خطأك وأن تتجنبي تصعيد الموقف معه.. وأن تصبري عليه كما تعودت خلال 12 سنة، وأنت تنتظرين بصبرك المعهود إلى أن يعود إلى طبيعته، لأني أستشعر صدق رغبتك فيه وعندما تمضي هذه الأزمة بإذن الله فقد يكون الوقت قد حان لأن تنجبا طفلاً يرسخ دعائم أسرتكما الصغيرة، ويمتص بعض هذا الطوفان من المشاعر التي تغمرينه بها والذي أضجره فيما يبدو.. والله في خلقه شئون!.

فقولي له كل ذلك يا سيدتي.. وقولى له نيابة عني إن هناك مثلا روسيا قديما يقول: لا تبصق في البئر القديمة.. فقد تحتاج يوما إلى الشرب من مياهها!.

ومن المؤكد أنه سوف يعود إلى الشرب من مياهها!.. مهما تباعد عنها لأن بعض الناس لا يعرفون قيمة ما في أيديهم لا إذا فقدوه، ولأنه مهما رأى وعاشر.. فلن يجد من يغمره بكل هذا الحب والعطاء الذي يتفجر فيك تجاهه.. فاصبري واحتسبي.. فإن موعدك السعادة.. وقريباً بإذن الله!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الابتسامة المفقودة!!

ليس في رسالتي هذه مأساة تشد القارئ ولا تجربة فريدة تهز الوجدان، لكنها قصة عادية لشاب عادي.. يحيا حياة عادية بخيرها وشرها ويعيشها معه الملايين.. فلقد تخرجت في إحدى الكليات الجامعية المتخصصة، وساقني قدري إلى العمل مدرساً في إحدى مدارس الوزارة العتيدة.. وزارة التعليم. وبعد خمس سنوات عجاف من العمل وادخار كل قرش.. ولا مورد سوى الراتب المحدود تزوجت من زميلة لي اخترتها واختارتني.. وعشنا معاً أياماً سعيدة. ثم بدأ طعم عسل الزواج ينسحب رويداً رويداً فلا يبقى إلا طعم المرارة، فالراتب يا صديقي ستون جنيها تبتلع الشقة ثلاثين منها.. وتبتلع المواصلات معظم النصف الباقي. ثم شاءت الظروف أن يمرض والدي الحرفي ويبتلع المرض معظم ما يستطيع أن يكسبه بجهد محدود، فاضطررت إلى المساهمة في نفقات الأسرة بكل ما يتبقى لدي من راتبي بعد الشقة والمواصلات وحتى المواصلات بدأت أتخلى عنها معظم أيام الأسبوع بحجة الرياضة.. وأصبحت أحاضر كل يوم زملائي في ضرورة المشي حفاظاً على ا الصحة، لكي لا يسخر مني الزملاء إذا رأوني آتياً إلى المدرسة كل صباح ماشياً وسط أهوال الشوارع التي لا تسمح بالمشي، ولم أعتبر ذلك مشكلة كبرى.. لكن المشكلة الحقيقية كانت في حياتي مع زوجتي.. فنتيجة لهذه الظروف أصبح راتب زوجتي المتواضع هو عصب الحياة في بيتنا.. وبدأت تنفقه في متطلبات الأسرة.. وبعد فترة من التحمل والصبر والمشاركة الجميلة بلا ضجر ولا شكوى من جانبها بدأت ابتسامة زوجتي تنكمش ثم تضيق.. ثم تتلاشى، وبدأ صوتها الذي كان دائماً رقيقاً وخافتاً يعلو شيئاً.. فشيئاً.. وبدأت سلسلة من التنازلات تحت ستار المشاركة.. وبدأت حياتنا الزوجية تتعرض للمتاعب والخلافات وتمضي يوماً بعد يوم من سيء إلى أسوأ.. وبدأ الإحساس بالعجز يسيطر عليّ.. فلا أنا حققت لنفسي ما حلمت به.. ولا أنا حققت لزوجتي الحد الأدنى من سعادة الزوجات، ولا أنا قدمت لأسرتي المحتاجة ما يعينها على نوائب الدهر.

قد تسألني.. ولماذا لم تبحث عن عمل إضافي يعينك على أعبائك فأقول لك إني استحق احتقارك لو كنت قد قصرت في البحث عنه.. فلقد حفيت قدماي في المرور على أصحاب الأعمال وفي تتبع إعلانات الوظائف الخالية.. بلا فائدة.

وربما تسألني ولماذا لم تصنع كما يصنع غيرك من المدرسين فتقوم بإعطاء بعض الدروس الخاصة لتعينك بموردها على أعباء الحياة فأقول لك إنني نسيت أن أقول لك في بداية الرسالة إنني المدرس الوحيد من بين مدرسي جميع المواد الذي لا يستطيع أن يعطي دروسًا خاصة حتى لو أراد لأني مدرس تربية بدنية فكيف أعطي فيها دروساً.. ولمن؟

إنني أكتب إليك لأسألك يا سيدي هل أخطأت الطريق من البداية.. حين التحقت بكليتي.. أم تراني قد ضللت السبيل حين سمحت لنفسي بأن أحقق أحلامي وأكون أسرة صغيرة.. وأنا شاب لا دخل لي سوى راتبي.. وبلا مال يحميها من الاهتزاز

إذا ما فاجأتها محنة كمحنة مرض والدي وعجزه عن الكسب؟ إنني أكتب إليك لعلك تستطيع أن تجد لي مخرجاً من هذه الأزمة ولعلك تعينني على التخلص من إحساسي الأليم بالعجز فهل تستطيع ذلك؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

لم تخطئ الطريق ولم تضل يا صديقي وإنما اخترت الدراسة التي تتلاءم مع ميولك.. وعملت عملاً شريفاً مفيداً.. وصنعت كما يصنع ملايين الشباب المكافحين فشقيت لمدة 5 سنوات تدخر خلالها كل قرش تكسبه ثم تزوجت من زميلة لك أحببتها وأحبتك.. وكونتما معاً عشاً صغيراً وأسرة تسعد بالأحلام الصغيرة وتشكو من متاعب الحياة.. فأي ضلال في ذلك؟

إن محنة مرض والدك واضطرارك لمساعدة أسرتك بنصيب من راتبك هو في النهاية حادث عارض في حياتك ولن يستمر إلى الأبد، وأنت مازلت في بداية حياتك رغم كل شيء، ولسوف ينمو دخلك وتتفتح لك أبواب جديدة للرزق ربما لم تخطر لك على بال من قبل، ولعل وفاءك لأبيك وتحملك لمسؤوليتك الأسرية رغم حاجتك إلى ما تقدمه لأسرتك، يكون شفيعك للدنيا من حيث لا تدري للحصول على نصيبك العادل من الحياة، فكم من أصحاب أعمال يفضلون أصحاب المسؤوليات العائلية عن غيرهم، وكم منهم من يرون في مثلك شاباً مكافحاً يستحق الاحترام والمساندة أكثر من غيره. فإذا كان من "الغرباء" من قد يحمل لك مثل هذه النظرة المنصفة.. فكيف لا يكون إحساس زوجتك وشريكة حياتك مماثلاً على الأقل لرأي الآخرين فيك!

أعرف أن الحياة قاسية.. وأن جفاف الحياة قد يذبل بعض أوراق الورود.. لكني لا أومن أبداً بأن "لين" الحياة وحده كاف لتحقيق السعادة، ولا بأن أصوات الزوجين ينبغي أن ترتفع وأن تنخفض بقدر ما يسهم كل منها في نفقات الأسرة! فالحياة الزوجية أسمى من ذلك بكثير وأعمق، وهي ليست شركة مساهمة لكل فرد فيها "أصوات" بقدر ما يملك من أسهمها فإذا كانت زوجتك قد "تململت" قليلاً من اضطرارها لإنفاق راتبها على الأسرة في هذه الظروف.. فاغفر لها ذلك. فمن حق الإنسان أن "يتوجع" بين حين وآخر من جفاف الحياة! ومن حقه أيضا أن "يشكو" "ويصرخ" أيضاً لو أراد.. ولولا هذا الحق "الإنساني" لانفجرت شرايين عديدة! لكن ذلك لا يبرر لها أبداً أن تجرح مشاعرك.. أو أن تنسى لك حقك كزوج.. أو أن تمس كرامتك وما أظنها فاعلة.. بل لعلها تعترف لك بأصالتك.. وشهامتك فتعرف أنها في "حمى" زوج لا ينسى واجباته.. ولا يتخلى عن "مسؤولياته" مهما كانت قسوة الظروف ومهما حملت له الأيام من تقلبات.. والليالي كما يقولون "حبالى" يلدن كل جديد! فتتمسك بك وتساندك فمثلك تشعر الزوجة المنصفة معه بالأمان إلى نهاية العمر..

لو "كبرت" على مثل هذه الصغائر.. واحتفظت لنفسها بصفاء الرؤية البعيدة لمستقبل الأيام.. واستعادت ابتسامتها المفقودة سريعاً.. وأدركت حقائق الحياة.

وإلى أن يحدث ذلك تفضل بزيارتي لأقدم لك إحدى فرص العمل الإضافي التي تلقيتها منذ أيام.. عسى أن يخرجك العمل الجديد من دائرة الإحباط والإحساس الأليم بالعجز، وما أنت في الحقيقة بعاجز ولا مشلول الإرادة لكنها الظروف الصعبة التي تطحن الآمال وتطارد السعادة أحياناً في الأعشاش الصغيرة التي لم تستكمل بعد كل دعائم بنيانها!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عاصفة في الخريف

أنا رجل في أواخر العقد الخامس، أشغل منصباً مرموقاً ولي مكانة لا بأس بها في المجتمع ومريض بالقلب... وكنت أحيا حياة سعيدة جداً فدخلي والحمد الله يزيد على حاجتي كثيراً. و وأملك تقريباً كل الكماليات وكل ما يجعل الحياة المادية مكتملة، وإلى جانب ذلك فأنا أب لأربعة: ولدين وفتاتين كلهم يدرسون بالجامعة وفي كليات مرموقة ومتفوقون في دراستهم وناجحون أيضاً في حياتهم إلى أقصى درجة ممكن تصورها، حتى ليضرب بهم المثل في وسطنا وفى مجتمعنا، وهم أيضاً أعضاء في اتحادات الطلاب وفي النوادي، ولهم صداقات محترمة والجميع والحمد الله يثق فيهم ويحترم عقليتهم، وباختصار شديد هم خير الأبناء، وقد عودتهم على الصراحة معي وأعاملهم كصديق قبل أن أكون أباً لهم، وأعطي لهم من الحرية ما يريدون فتعودوا على الأفعال الصحيحة..

أما زوجتي يا سيدي فهي سيدة عاملة وناجحة جدا وتشغل منصباً مرموقاً، ومن أسرة كبيرة وناجحة اجتماعياً وعائلياً وتعتبر من الأمثلة القليلة للمرأة الناجحة الاجتماعية وللزوجة وللأم المثالية، إذ أنها رغم مشاغلها تعتبر البيت والأبناء أهم اهتماماتها..

كانت هذه هي حياتنا يا سيدي حتى العام الماضي، حين أصبت فجأة بحالة ملل من كل شيء فاستحال حبي لزوجتي وأبنائي وبيتي إلى كراهية، وبدأت أختلق المشاحنات معهم دون سبب أو عذر واضح، وتدخل أهل السوء من أهل وأصدقاء فتعقدت الأمور أكثر، وترددت كثيراً قبل أن أتخذ قراري الأخير وكان بأن أبدأ حياة جديدة وزواجاً جديداً!

والمشكلة الآن هي أن قراري هذا قد تمكن مني وعرف به أولادي، وحاولوا بشتى الطرق إثنائي عنه، وقاموا بالعديد من المبادرات العاطفية معي، وبوسائل الإقناع المتعددة محاولين إقناعي بأنهم لا يقبلون أن يشاركهم أحد في والدهم، وهو القدوة لهم في تصرفاته وحكمته، أو أن يشاركهم أحد في حناني وفي قلبي مؤكدين لي أني لست لهم الأب فقط بل الأخ والصديق، وحاولوا بشتى الطرق أن يعرفوا أسباب هذه الصدمات التي تهدد بيتنا الرائع لكي يحاولوا إصلاحها فبدأوا يغدقون عليّ الحنان والحب أكثر مما كانوا يفعلون، وبدأوا يتواجدون في المنزل طوال النهار، حتى يتفرغوا لي محاولين معرفة سبب ضيقي ومللي، لكن صدقني أنه لم يكن هناك سبب واضح وبالتالي لم يكن هناك علاج لما أنا فيه، وبالتالي لم استجب لهم ولم أتراجع وبالفعل تعرفت على فتاة تصغرني بكثير، وأنا أعلم تمام العلم بأنها تقبل الزواج مني لمالي فقط، ولعلمها بثرائي، وبالرغم من ذلك فأنا ماضٍ في هذا المشروع، لكني حائر فلا أنا قادر على التراجع في قراري، ولا أنا قادر على أن أرى أبنائي يضيعون مني بل ويضيعون من أنفسهم، فلقد لاحظت أنهم قد فقدوا حيويهم وابتسامتهم وسعادتهم، وأنا أعذرهم فقد كنت كل شيء لهم، ثم اهتزت صورتي أمامهم اهتزازاً شديداً. لقد كنت أعرف دائما أن الابن يخشى أباه ويهابه، لكني لم أكن أتخيل أن الأب من الممكن أن يخشى في يوم من الأيام

مواجهة أبنائه، فأنا أريد أن أذهب إليهم وأحتضنهم لكني أرى في عيونهم نظرة عتاب ولوم وأحياناً نظرة ازدراء، لقد حاولت أن أقنعهم بأن زواجي بأخرى لن يغير من مكانتهم في قلبي أو يدفعني للتقصير في حقوقهم لدي لكنهم أبداً لا يقتنعون، لقد بكوا طويلًا عندما علموا بنبأ زواجي بأخرى وقالوا إننا لم نفرط أبداً نحن وأمنا في حق من حقوقك ونعيش كأسرة سعيدة فلا تهدم وحدك ما بنيناه معاً، ولا تهدم سعادتنا من أجل سعادة لحظية لك وأنت تعلم أن هذه الزيجة لن تعمر طويلًا، وأنا الآن في حيرة قاتلة أرى أولادي وما هم عليه من حزن، فأشعر بالضيق لما هم فيه وبسبب موقفهم مني وتحاشيهم لي، وأرى فتاتي فأشعر بعاطفة الحب وكأني شاب مراهق فماذا أفعل... إنني أرجوك أن تنشر رسالتي سريعاً وأن تحاول أن تطمئنني قبل أن أفقد كل شيء وقبل أن تقتلني الحيرة والاكتئاب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

يا سيدي أنت رجل في حالة "بطر" لا أجد ما تستحقه من الكلمات! فلقد بطرت بكل مزايا حياتك التي يتمنى بعضها كثيرون واخترت بإرادتك أن تقبض على الجمر بأصابعك، فماذا تنتظر غير أن تحرق النار أصابعك وجلدك؟ لقد "مللت" فجأة الحياة الاجتماعية المحترمة والزوجة المرموقة الكاملة والأبناء الناجحين المتفوقين الذين يحترمهم الجميع، ومللت إعجاب الناس بحياتك وأسرتك ومكانتك ومكانة زوجتك، فقررت أن تهدم المعبد في لحظة طيش أو في لحظة اكتئاب وملل لم تعرف كيف تعالجها العلاج السليم، لقد كان يكفي جداً عند إحساسك بأعراض هذا الملل أن تفكر في تجديد حياتك وروابطك بزوجتك وأبنائك عن طريق رحلة خاصة لك ولزوجتك إلى الخارج، أو عن طريق الانتقال من مسكن إلى مسكن، وأنت والحمد الله قادر على ذلك أو حتى عن طريق تغيير نظام حياتك وممارسة نشاط جديد، وخلق اهتمامات جديدة تجدد دماء الحياة لديك، أو باستشارة طبيب نفسي يساعدك على مواجهة حالة الاكتئاب التي من الممكن أن يتعرض لها أي إنسان، في أي مرحلة من العمر - لكنك لم تفعل كل ذلك وآثرت أن تودع حياة الاستقرار والاحترام والحب العائلي الصادق لتبدأ حياة جديدة قلقة مضطربة بلا مبرر فاشرب الكأس وتجرع مرارتها فهذا هو اختيارك ولكل شيء ثمن، ويستطيع كل إنسان أن يفعل ما يريد لكنه لا يستطيع أن يخضع الأشياء لإرادته، فيجبر الآخرين على احترامه والأبناء على الاستمرار في حبه وتقديره واعتباره المثل الأعلى ولا يستطيع أن يجمع بين مزايا و "متعة" كل شيء في الحياة.. وإلا لما كانت الحياة! لقد بعت الحب الصادق من جانب زوجتك وأبنائك.. بالحب الزائف من فتاتك وأنت نفسك الذي قلت إنك تعلم أنها لولا ثراؤك لما تزوجتك فماذا تنتظر يا صديقي؟ الحق أنني أشبهك برجل كان يجلس أمناً سعيداً محوطاً بالحب والإعجاب أمام مدفأة في ليلة شتاء في بيت جميل يستمتع بالدفء والحنان، ثم ترك كل ذلك وخرج ليقف بملابس النوم على طريق الكورنيش بالإسكندرية وسط اشتداد

العاصفة.. أعجيب أن يصاب بالبرد والحمى؟ هذا هو حالك يا صديقي.. وأنت الآن مريض بالحمى ولست سعيداً كما تتصور وتجربتك مهما فعلت خاسرة، فلماذا تحاول "إطالة" عمرها؟ وكل يوم يمضي عليها يزيد من عمق آثارها الضارة على أبنائك وزوجتك ويقلل من إمكانية علاج آثارها!! ليس من العار أن يخطىء الإنسان مرة لكن العار هو أن يصر على الخطأ، وهو يعرف أنه خطأ فلا تجمع بين قبيحين: ارتكاب الخطأ والاستمرار فيه! ولتعتبر ما حدث لك تجربة أليمة علمتك أشياء جديدة يمكن الاستفادة منها في تقدير مزايا حياتك الماضية التي انقلبت عليها فجأة.. فالإنسان لا يعرف قيمة الأشياء إلا عندما يفقدها!

ولعل هذه العاصفة الهوجاء التي مررت بها تزيل عن عينيك الغشاوة، وتساعدك على فهم حقيقة حياتك التي لم تقدرها حق قدرها لأنه كما يقول العليم الخبير سبحانه "قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ".

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الأكذوبة

أكتب إليك عاتبة.. لأن هذه هي المرة الثالثة التي أكتب إليك طالبة فيها رأيك في مشكلتي.. ثم لا أجد رداً.. أنا يا سيدي طالبة بالسنة النهائية بإحدى الكليات الجامعية.. وأنا طالبة محافظة مطيعة لوالدي جدا وأحاول غاية جهدي أن أتمسك بتعاليم ديني. ومنذ عام تقدم إليّ شاب اقتنع به أبي وأمي جدا، وطلبا مني أن أعرف بنفسي عنه كل شيء.. وأعطياني مهلة 10 أيام لإبداء رأيي. وكأي فتاة كانت لي مواصفات محددة في الشاب الذي ارتبط به بقية عمري، من بينها الأدب.. والأخلاق والشهادة، ولم يكن المال أبداً هو هدفي.. فوجدت في هذا الشاب كل ما أردته في شريك حياتي من أدب وخلق ووسامة.. وكل شيء ما عدا شيئاً واحداً هو الشهادة، وترددت.. واحترت خلال فترة المهلة.. وبعد تزكية أبي له.. وتأييد أمي وإخوتي وكل أقاربي له أعلنت موافقتي عليه، لكني طلبت أن نعلن الخطوبة فقط.. فرفض أبي وأصر على إعلان الخطوبة وعقد القران في آن واحد.. ووجدتنى مقتنعة به لكني وجدتني أيضاً خائفة من نظرة الآخرين إلى هذا الزواج، تسألني لماذا؟ فأقول لك لأن خطيبي يعمل "ميكانيكياً"! وأنت تعرف نظرة الناس إلى أصحاب المهن.

لكن صدقني أنه ليس "مبهدلاً" أو "مزيتاً" لكنه أنيق ويحافظ على هندامه بعد العمل.. كما أنه على درجة عالية من الثقافة ويفوقني أنا شخصياً بكثير. لكن المشكلة هي أن لي 5 أشقاء وشقيقات. وكلنا تعلمنا تعليماً جامعياً وتزوجت شقيقاتي الثلاث من رجال في مراكز "عالية" "دكتور - مهندس - محاسب"، وأنا أعرف رأيهم جميعاً وأحس بمعاملتهم لمن هم "أقل" منهم في الشهادة.. فهم لا يعاملون الإنسان كإنسان وإنما يعاملون كل واحد على قدر شهادته!.

وكان طلبي الوحيد من أبي لكي أوافق على عقد القران هو ألا يبوح لشقيقاتي وأشقائي " بسر " وهو أنه ميكانيكي وليس مهندسًا ميكانيكياً كما ادعيت لزميلاتي وصديقاتي! وأرجو ألا تسيء الظن بي لأني سأقول لك فقط نموذجاً لهذا الإحساس.. فلقد صارحت إحدى شقيقاتي بالحقيقة.. فقالت لي مستهزئة بي "إنها كانت تتوقع لي ذلك!" فهل رأيت إحساس شقيقتي..، وصدقني أنني أردت بذلك أن أحافظ على مشاعره لأنه إنسان حساس جداً، وخشيت أن تؤثر معاملتهم له في نفسيته.. فيتألم، أما هو فقد وعدني بأن يكمل تعليمه الذي كان قد توقف عنه لظروف شرحها لي.. ووعدني بذلك لا لشيء إلا ليعلمهم أن الإنسان ليس بشهادته.. ولكي يرضيني.. ولا يحرجني أمام أحد من أشقائي، ولقد أدهشني أن أقرب الناس لي لم يتقبلوا الوضع.. ولا أعرف إلى متى ستظل هذه الكذبة قائمة؟ لقد ابتعدت عن أعز صديقاتي لأنهن يتكلمن عن أصحاب المهن بسخرية شديدة دون أن يعرفن أنهن يحرجنني بذلك، فبدأت أتجنب الصديقات حتى المسلسلات.. حتى الجرائد تسيء إلى أصحاب المهن.. ولا ترحم مشاعر "أهلهم" وخطيباتهم.. وزوجاتهم!

لقد أصبحت كلما سألتني صديقة ماذا يعمل زوجك.. أجيبها بالأكذوبة المعتادة.. أعود إلى البيت حزينة.. لأني عارفة أني أكذب وقد حاولت أن أقول الحقيقة مراراً لكني عندما ألحظ علامات السخرية ألجأ إلى الكذب.. وإذا أنا حائرة هل أكمل هذا الوضع.. أم أريح نفسي وأطلب الطلاق.. وأبتعد عن هذه القصة كلها قبل أن تصل إلى الزفاف، علماً بأنه يريد أن يفعل أي شيء من أجل إسعادي، أم ترى هل تنصحني بأن نسعى للهجرة بعيدا عن هذه المؤثرات كلها.. إنني أعدك بما تشير عليّ به فبماذا تنصحني!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

أنصحك يا صديقتي بأن تكفي عن الكذب على نفسك أولاً.. ثم على الناس ثانياً! فأنت تعترفين أنك "أرقى" من خطيبك مستوى لمجرد أنك طالبة بالسنة النهائية بإحدى الكليات.. وهو ميكانيكي لم يكمل تعليمه.. وليس هذا المقياس صالحاً للحكم على كل الحالات فالواضح من رسالتك أن مستواكما الاجتماعي متقارب بدليل تمسك والديك به وتزكيته لك.. والتكافؤ الاجتماعي شرط مهم من شروط الزواج الناجح.. وهو إذن متوافر في حالتكما.. أما التكافؤ الثقافي الذي يسمح لكل منكما بتفهم الآخر ومشاركته نظرته إلى الحياة.. فهو أيضاً فيما يبدو لي متوافر في حالتكما.. لأن هذا التكافؤ ليس شرطه الوحيد الحصول على شهادة جامعية.. وإنما يتحقق بأكثر من طريق فالقرءاة.. وفهم الحياة وترقية المدارك. ولعلي لو حكمت على مستواك الثقافي برسالتك لظلمتك ولأيدتك في أن ثقافته أعلى من ثقافتك.. فلقد أرهقني تصحيح أخطائها اللغوية.. وترجمة بعض عباراتها إلى جمل مفهومة.. ومحاولة توضيح أفكارك...

أما إذا حكمت على مستواك "بتفكيرك" الغريب في القضية كلها فلا شك أن القضية لن تكون في صالحك.. ولا في صالح تعليمك الجامعي!

إذ كيف تستسيغين.. أن تروجي هذه الأكذوبة عنه معتقدة أنك بذلك تجملين صورته في عيون الآخرين.. بغير أن تدركي أنك بذلك تسيئين إليه وإلى أحاسيسه؟

.. ثم كيف تقبلين خطبته وزواجه وأنت تنطوين على كل هذا "الاحتقار الباطني" لمهنته.. وهي مهنة شريفة.. وعمل نافع؟

أنك أنت من تسيئين إليه بمحاولة أن تنسبي إليه ما ليس فيه وليست نظرة المجتمع.. لأن نظرة المجتمع ليست كما تتصورين وتتوهمين لكنها أفكارك أنت التي ترسبت في أعماقك.. لأنك فيما يبدو تتصورين أنك كان لابد لك أن تتزوجي شابا من أصحاب "المراكز العالية" كشقيقاتك! وأنت حرة فيما تريدين.. وكان بوسعك الرفض من البداية.. لكنك مادمت قد قبلت فإنه ينبغي أن تحفظي للرجل كرامته.. وأن تفخري به لأنك اخترته وأن تتخلصي من حساسيتك أنت تجاهه

ويكفيك أنه رغم هذه الإهانة التي توجهينها إليه لتجملي صورته. مازال راغبا فيك وحريصاً عليك وراغباً في إسعادك.. فمثل هذا الزواج لن يتحقق له النجاح والاستمرار إلا إذا كان قائماً على الاقتناع العام من كل طرف بالآخر.. وعلى الإعجاب أيضاً بشكل أو بآخر..

وزواجك من مثل هذا الشاب.. إن لم تتخلصي من أفكارك وتواجهي مجتمعك به وأنت فخورة.. لن يصمد لرياح الحياة.. وسوف ينهار إن آجلاً أو عاجلاً كما تنهار قصور الرمال على الشاطئ إذا ما فاجأتها أعاصير الشتاء!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الطريق الصعب

اسمح لي بأن أزيح عن صدري ما يثقل عليه، وأن أنفس عما يختمر داخله وإلا جننت.. فما أراه وأعانيه يدعوني إلى الجنون أو إلى ما هو أشد منه نكراً! وسأروي لك قصتي يا سيدي من البداية.. إنني فتاة عمري 25، سنة توفي والدي منذ ثماني سنوات وكنت وقتها في الصف الثاني بالمدرسة التجارية. وواجهت الحياة وحدي أنا وأمي فلم أيأس.. ونزلت إلى العمل ووجدت وظيفة صغيرة أعانتني براتبها على تحمل أعباء الحياة، وواصلت الدراسة إلى أن حصلت على دبلوم التجارة بتقدير جيد جداً، وكان ترتيبي الأولى على المدرسة.. والتحقت بإحدى كليات التجارة وقاسيت الحرمان وأنا طالبة بالكلية.. وسط فتيات يرتدين أحسن الثياب ويفعلن ما يردن بينما أنا أمضي العام كله ببلوزة كحلية اللون وجيب وبلوفر وحيد يطل منه أكثر من ثلث ذراعي، بعد أن قصرت أكامه من كثرة الغسيل ولا أستطيع شراء غيره.. ومرت سنوات الكلية بخيرها وشرها وتخرجت فيها.. وحاولت أن أزيد من فرص عملي فتدربت على الآلة الكاتبة حتى أجدتها إجادة تامة... وتدربت على التلكس وأجدته، وقدمت أوراقي للشركات الخاصة والاستثمارية فحصلت بسهولة على عمل لائق وبراتب مغرٍ وزاولت عملي بكفاءة وإخلاص وأنا سعيدة بتحرري من الحاجة وبدأت استعد لتعويض نفسي وأمي سنوات الحرمان.. يداعبني الأمل الذي يداعب كل فتاة وجدت بداية طريقها وهو أن يوفقها الله إلى الحياة الطبيعية مع شاب يحبها وتحبه.

طبعاً تتساءل وأين المشكلة.. ولماذا تكتبين إلي بذلك؟ وأجيبك على الفور بأن مشكلتي يا سيدي هي أنني لا "أعمر" في أي مكان عمل أعمل فيه لأكثر من 3 أو 4 شهور على الأكثر، وهي أطول فترة أمضيتها في إحدى الشركات، والشركات التي عملت فيها شركات خاصة أو مكاتب أعمال خاصة تسألني لماذا.. هل أنت مهملة؟ فأجيبك أبداً والله العظيم فأنا أعمل بكفاءة تامة في كل الأعمال التي أكلف بها وكفاءتي يشهد لي بها كل من عملت لديهم.. إذ أن لدي جلداً على العمل مستمداً من سنوات الحرمان الطويلة.. ومن رغبتي الدافقة في إثبات نفسي في أي عمل لكي لا أفقده.. وأفقد موردي الوحيد.. تسألني هل أنت "حرامية"؟ أجيبك على الفور أني والله وكتاب الله وقرآنه ورسله وأنبيائه إنسانة شريفة لم أمد يدي يوماً لحرام ولن أمدها بإذن الله ولو مت جوعاً؟.

تسألني هل أنت موظفة مشاغبة تثيرين المتاعب في كل مكان عمل وتنقلين كلام فلان إلى علان فتخلقين المشاكل.. وتفتحي أبواب الجحيم في كل مكان.. فأجيبك بأني والله العظيم إنسانة غلبانة وفي حالي.. ولا أرفع عيني عن الآلة الكاتبة طوال النهار.. ولا أجيد حكاية الحكايات لكي أروي عن أحد ومن عملت معهم شهدوا بذلك ولن أطيل حيرتك وسأقول لك سبب مأساتي! إنني يا سيدي ممن يعذبهن جمالهن! فأنا - لا أعرف لسوء حظي أو حسن حظي - من هؤلاء اللائي يقول عنهن الناس جميلات بشكل لافت للنظر.. مع أني والله العظيم لا أحس بذلك.. ولا

يشغلني سوى أن أجد عملا شريفا وأحيا حياة بسيطة شريفة.. لكني للأسف كما يقولون جميلة.

وكان من الممكن أن يكون ذلك سبب سعادتي لولا أنني قد اخترت الطريق الصعب.. وهو أن أعرف ربي وأن أصوم وأصلي.. وأرفض العبث.. والطريق الأعوج، لذلك أجد العمل بسرعة وأفقده أسرع.. وأجد العمل بمرتبات مغرية لكنها تنقطع فجأة بعد أسابيع.. وأحياناً بعد أيام.. لأنني لا أقبل أكثر من العمل وأصحاب الأعمال أو على الأقل من عرفتهم منهم.. لا يريدون من فتاة مثلي العمل وحده! فإذا أصررت سمعت الكلمة المعهودة "يالا يا شاطرة إنت مرفودة" ولا أستطيع أن أروي لك كل قصص العمل التي عشتها لكني سأحكي لك قصتين فقط: علمت في شركة خاصة يديرها مستثمر شامي براتب كبير هو 350 جنيهاً كل شهر، وبذلت في عملي كل جهدي وكنت سعيدة به جداً لكن صاحب الشركة كانت له مديرة مكتب، استشعرت الخطر مني بلا سبب منذ أول يوم عملت فيه بالشركة وبذلت كل جهدها لإبعادي عن الشركة وفعلا بعد 4 شهور قبضت راتبي فأبلغني الصراف أن هذا الراتب هو آخر راتب لي لأن الشركة فصلتني.. وقفت أمامه مذهولة.. والدنيا تدور بي.. يا ربي.. لقد بدأت فقط أسدد ديوني وأشتري لأمي ولنفسي بعض الثياب اللائقة.. لم أجد من لديه الجواب عن سؤالي أما صاحب الشركة فقد رفض حتى مقابلتي ليشرح لي أسباب طردي!.

وتقدمت لشركة أخرى كانت تطلب سكرتيرة لرئيس مجلس الإدارة فقبلت على الفور، وخلال أيام كنت أجلس في مكتب أعمل وأسجل المراسلات وأنظم المواعيد واعتقدت أن زمن العواصف قد مر لأن رئيس مجلس الإدارة الجديد رجل جاد في الخامسة والخمسين من عمره، أي في سن أبي، لكني بعد أيام من بدء العمل فوجئت به يدعوني لمكتبه ويقدم لي مبلغ خمسمائة جنيه، فأمسكت بالنقود وانتظرت تعليماته لمن أسلمها أو لمن أرسلها إليه.. فإذا به يقول لى بابتسامة كريهة على وجهه "الفلوس دي ليكي علشان تشتري بيها هدوم فساتين جديدة لتليق بجمالك وشبابك!". أمسكت النقود في يدي ولن أدعي أنني لم أفكر في قبولها فالنفس أمارة بالسوء وللحظات زين لي الشيطان أن أقبلها.. لكني أفقت سريعاً من وساوس الشيطان.. ومددت يدي بالمبلغ ووضعته على مكتبه.. واغتصبت ابتسامة وكلمات شكر مقتضبة وكلمات اعتذار عن عدم قبول المبلغ.. وهممت بالانصراف فألح عليّ بقبول النقود، فأصررت على الرفض وانسحبت.. وطبعا أنت تعرف الباقي! فقد سافر بعدها بأيام للخارج ومن هناك خاطبني بالتليفون وغازلني فصددته فما إن عاد من رحلته حتى كان أول قررا يصدره هو فصلي بعد شهرين ونصف الشهر فقط من العمل. وصدقني أن أمي بعد أن عرفت أني فصلت من هذا العمل أيضاً قد مرضت لضعفها وحزنها عليّ، وطلبت لها الإسعاف في منتصف الليل وأنا أيضاً حزينة لما يحدث لي وأريد أن أسألك هل "أنتم" تشجعون الفتيات على ارتكاب الخطأ.. وهل أنتم تريدون من الفتيات لكي يكسبن رزقهن أن يقدمن أنفسهن لأصحاب الأعمال؟.. إنني أؤكد لك إننى لو عملت في أي عمل آخر سوف أطرد منه لنفس السبب ولأني لن أسلم نفسي لأحد ولو

كنت قد أعطيت لما طردت من علمي.. لكن كيف أغضب ربي.. كيف.. إنني أرجوك أن تساعدني ولو بكلمة أن تقول لي ماذا أفعل؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

إنني أقدر معاناتك.. وأقدر عذابك وحيرتك بين إرضاء ربك.. وإرضاء الذئاب من حولك الذين شاء حظك ألا تلتقي إلا بهم في مجالات عملك.. لكني اختلف معك في أن كل مجالات العمل وكل أصحاب الأعمال من هذا النوع.. لا أنكر أنهم كثيرون لكنهم ليسوا الأغلبية فالقاعدة هي الخير.. والاستثناء هو الشر.. لكنك يا آنستي لم تري سوى هذه النوعية من أصحاب الأعمال لسبب بسيط هو أنك لم تتقدمي إلا لها طلباً للعمل.. فجمالك لا إمكاناتك هو الذي هيأ لك فرصة العمل السريعة بالراتب المغري.. ومن قدم لك هذا الراتب الكبير وأنت في بداية عملك يتصور أنه بذلك قد وقع معك اتفاقاً غير مكتوب وأن الوظيفة هي البند الأول فيه، لذلك فهو ينتظر تنفيذ باقي بنود العقد متصوراً أنك قد وافقت عليه منذ البداية، الراتب الضخم بلا مبررات مقنعة يا آنستي قد يكون أحياناً "رشوة" لا راتباً وراتب مثيلاتك في الشركات والأعمال التي لا تنتظر من الموظفة إلا عملها هو في حدود 80 أو 90 جنيهاً أو مائة جنيه على الأكثر، فإذا كان الراتب هو أضعاف أضعاف ذلك ومنذ اليوم الأول وقبل أن تتضح كفاءتك في العمل.. فأغلب الظن أنه مقابل "مؤهلات" أخرى لا تحتاج إلى اختبار قدرات! لذلك تجدين العمل سريعاً وتفقدينه أسرع، لأنك فتاة شريفة ترفضين أن تخسري نفسك ولو كسبت الدنيا، غير أنه لا تعارض هناك في النهاية صدقيني بين أن تجدي فرصتك العادلة في العمل والرزق الشريف وبين أن تحفظي نفسك وكرامتك ودينك، فما أكثر الشرفاء في عالمنا.. وما أكثر من يرعون الله في أعمالهم سواء أكانت أعمالاً عامة أم خاصة لكننا لا نسمع عنهم كثيراً لأن الشر بطبيعته لافت للأنظار.. وسمعة فتاة واحدة سيئة يمكن أن تغطي على سمعة فتيات كثيرات شريفات.. لأن صوت الشر عال يا آنستي وصوت الخير خافت كما يقولون وليس في فتاة شريفة مثلا ما يغري الألسنة كثيراً بأن تروي عنها.. في حين تجد الألسنة سعادة ولذة في أن تلوك سمعة فتاة واحدة سيئة.

غير أن أحد أسباب شقائك أن جانباً كبيراً من الأعمال الخاصة في مجتمعنا الآن يملكه ويديره بعض من أفراد الطبقة الجديدة الذين لا قيم لهم ولا تقاليد، وهؤلاء يا آنستي قد رسخ في معتقداتهم أن المال هو القيمة الأولى في الحياة، وأنه ليس هناك إنسان ولا قيمة ليس لها ثمن، وبين هؤلاء تسود قيم ترى أنه ليس هناك شيء في الدنيا اسمه الشرف.. وأن الفارق بين غير الشريف والشريف هو أن الأخير لم يعرض عليه بعد الثمن الذي يحطم مقاومته فإذا قدم له الثمن.. انهار واستجاب لما يطلب منه، لذلك فهم يجيدون استخدام هذا السلاح القذر.. لكن الدنيا تكذب ظنونهم في كثير من الأحيان.. كما حدث معك أنت على سبيل المثال..

إنها قصة قديمة جديدة على أية حال والجمال قد يكون في بعض الأحيان نقمة أو لعنة كما هو الحال معك، ومع فتيات أخريات جنى عليهن جمالهن في أحيان كثيرة.. لكنها نقمة لن تدوم بإذن الله فإن من يحفظ الله يحفظه ويجعل له من أمره رشداً، ومهما رأينا من انتشار صور الشر فإنه لا يصح إلا الصحيح في النهاية وقد اتفقنا على أنك قد اخترت الطريق الصعب أو الطريق الصحيح بالمعنى الأصح، ولأنه صحيح فهو صعب وله تبعات لا يتحملها إلا أولو العزم من الرجال والنساء، وهي تبعات تسحق المعاناة.. لأنك بها تدافعين عن نفسك وكرامتك وخلقك ووجودك.. فاصمدي يا صديقتي واصبري وسوف تجدين فرصتك العادلة قريباً بإذن الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الكارثة!!

من بين الرسائل العديدة التي يقرأها الإنسان.. يتوقف أحياناً عند رسالة تمس أوتار قلبه.. أو تثير تأملاته أو تأسره بصدقها. ولقد توقفت هذا الأسبوع أمام هذه الرسالة التي بدت لي وأنا أقرأها كأنها أنشودة للصدق والبساطة.. والتلقائية.

تقول كلماتها: أبدأ أولاً بأن أعرفك بنفسي.. أنا ماجدة.. حاصلة على دبلوم ثانوي صناعي منذ 4 سنوات ولم يحن دوري بعد في التعيين في القوى العاملة، لكني حصلت بعناء شديد على عمل في القطاع الخاص بعد وفاة والدي الذي لم يترك لنا من حطام الدنيا سوى معاش ضئيل لا يكفي لإطعامنا وتلبية طلباتنا لأكثر من يوم 10 في الشهر. ونحن نعيش في مدينة دمنهور. ونسيت أن أعرفك بإخوتي.. وهم ميرفت في سنة أولى ثانوي ومحمد في سنة ثالثة إعدادي. أما والدتي فهي إنسانة بسيطة جداً وطيبة جداً ولا تدخر وسعاً لإسعادنا وعدم إشعارنا باليتم بعد وفاة أبي.. وهي لا تملك ماكينة خياطة كما أقرأ في رسائل بعض أصدقاء البريد.. لكنها تعمل عملاً آخر للمساهمة في نفقات البيت.. وقد بدأ هذا العمل باقتطاع عشرة جنيهات من راتبي الصغير اشترت بها كتاكيت وجاءت بها إلى البيت لتعطيها كل عنايتها واهتمامها.. فتقوم بخدمتها كل يوم وتصرف عليها وتربيها حتى تكبر.. وإذا إصابتها وعكة صحية تحملها إلى طبيب الوحدة البيطرية وتعرضها عليه ويعطيها الحقن.. وتحضر معها دواء من الوحدة تضعه في الماء الذي تشربه الكتاكيت، وهكذا إلى أن تتحول إلى دجاج بعد حوالي شهر ونصف الشهر أو شهرين.. فتقوم ببيعها في سوق البلدة بحوالي 50 جنيهاً، وتذهب على الفور إلى تاجر الكتاكيت وتشتري 20 كتكوتاً جديداً بعشرة جنيهات، وتعود سعيدة بالمكسب الحلال.. فتوسع على البيت ببعض الأشياء وتسدد بالباقي ديوننا التي تكون قد تراكمت خلال الشهرين الماضيين بسبب نقص المعاش وراتبي عن طلباتنا.. وهكذا تمضي الحياة بنا بسيطة عادية.. لا مشاكل فيها سوى مشكلة واحدة أزلية... أراها واصطدم بها منذ وعيت على الدنيا هي مشكلة الفلوس!.

فأنا أذهب إلى عملي ولا يوجد في جيبي سوى عشرة قروش وأحياناً والله العظيم أذهب إلى عملي بلا أي فلوس وأحياناً لا أمتلك ثمن شراء جريدة أقرأها، وفي الأسبوع الماضي ميرفت أختي. انقطع شرابها.. فبكت لكي نشتري لها غيره.. وسنشتري لها غيره طبعا.. لكن المسألة أنها عايزاه في لحظتها.. وهذا غير ممكن ولابد أن تتعلم الصبر مثلنا فأنا مثلاً تعودت أغسل أسناني بمعجون الأسنان، لكنه نفد منذ أسبوع ولا أملك ثمنه.. فماذا أفعل؟.. سأنتظر بالطبع إلى أول الشهر وهكذا لابد أن الإنسان يتحمل ويتعود على ظروفه.. ورغم أني أقول هذا فقد فقدت صبري هذا الأسبوع.. وهذا هو سبب رسالتي إليك.. فقد حدثت لنا يا سيدى "كارثة" اقتصادية هي موت جميع الكتاكيت وهي صغيرة قبل أن تكبر نتيجة لمرض مفاجئ لم تنفع معه خبرة أمي ولا رعايتها.. فطارت الجنيهات العشرة.. وطار مكسب الدجاج.. ولك أن تستنتج ما حدث بعد موتها فلقد خيم الحزن يومين طويلين على بيتنا.. وآثار هذا ألمي لحالنا، أن تكون سعادة أسرة مثلنا مرهونة بحياة عشرين

كتكوتا صغيرا إذا نجت نجونا معها وسددنا الديون وأصلحنا التليفزيون القديم.. وإذا هلكت.. تلخبطت حياتنا.. وتغير ترتيبنا لأشياء كثيرة؟ أليس هذا وضعاً غريباً؟

إنك يا سيدي ربما ترى فيما أقول شيئاً تافهاً ولا يستحق أن ينشر ولا أن تعلق عليه لكنها بالنسبة لي بالذات ليست كذلك.. لذلك فأني أكتب إليك لتقول لي بعضا من كلامك الذي يريحني كثيراً لتخفف عني هذا الضيق وشكراً..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

لا يا صديقتي.. لا أستطيع أن أكتب لك "بعضاً من كلامي" لكى يريحك ويخفف عنك ضيقك بهذه "الكارثة" فالكلام وحده لا يفيد في مثلك حالتك.. كما أني لست قادراً عليه الآن لذلك فسوف أرتب مع جمعية "اختار أسرة" وهي جمعية تتولى رعاية عدد كبير من الأسر التي تعيش مثل ظروفك، أن يقوم مندوبوها بزيارتكم في أسرع وقت لاتخاذ الإجراءات العاجلة لإزالة آثار هذه الكارثة! ومنع تكرارها في المستقبل بإذن الله! وهذه الجمعية يقوم أخصائيوها المتطوعون بدراسة الحالات الماثلة لحالة أسرتك دراسة مستوفية.. ثم تقدم تقاريرها لمن يرغب في كفالة إحدى هذه الأسر لفترة معينة، وشروطها لذلك أن تكون الأسرة من الأسر المتعففة التي لا تسأل الناس إلحافاً، وأن يكون لها أبناء في التعليم لا يتكسبون، ثم ترتب بعد ذلك مع الكفيل الذي لا تعرفه الأسرة عادة.. إمداد الأسرة بمساهمات شهرية تعينها على نفقات تعليم الأبناء للفترة التي ترى الجمعية أنها تستطيع بعدها الاكتفاء بنفسها، وخلال هذه الفترة تقدم للكفيل تقارير عن تقدم الأبناء في التعليم.. كما تقدم له صور إيصالات استلام المساهمات، في موعدها.

وبريد الأهرام يقوم بالتعاون مع هذه الجمعية العزوفة عن الإعلان عن نفسها برعاية عدد من الأسر، وقامت الجمعية مشكورة بدراسة حالاتها نيابة عن البريد، وقبلت كفالتهم لها ويسعدني بكل تأكيد أن تنضم أسرتك إلى عداد هذه الأسر، فلقد شممت في رسالتك رائحة التعفف.. ومسك البساطة والقناعة، وآمل أن تتم الإجراءات بسرعة متناهية بإذن الله، وعند ذلك فقط سوف أستطيع أن أعزف في أذنك أعذب الألحان.. وأن أكتب لك أرق الكلمات.. أما قبل ذلك فآسف.. لا يطاوعني قلمي!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هموم صغيرة

أنا أحد قراء بريد الجمعة.. وقد قرأت فيه عن مشاكل عديدة وكيف تم حلها مما شجعني على كتابة مأساتي لك، لعلك تساعدني في حلها لو حتى تخفيفها عني، بعد أن ثقلت عليّ.. أرجو ألا تبخل بنشر هذه الرسالة لكي يعرف الناس ما يسببونه من آلام للآخرين، أنا يا سيدي شاب عمري 19 سنة أعيش مع والدي وأسرتي في مستوى معقول. وأنا طالب بالثانوية العامة وقد رسبت لمدة عامين وأعيدها للسنة الثالثة هذا العالم، وأرجو ألا تتسرع وتحكم عليّ بأني طالب فاشل فأنا لم أكن كذلك ولن أكون. وهذه في الواقع ليست مأساتي الحقيقية، وإنما مأساتي الحقيقية هي أنني شاب "تخين"! جداً وقد التصقت بي هذه الكلمة حتى أنني أسمعها كل يوم عشر مرات وأقرأها في كثير من عيون الآخرين، وبالرغم من أن من يعاشرني أو يتعامل معي يقول عني إنني خفيف الظل أو مرح، وأنه لا يسلم أحد من تعليقاتي الظريفة، فلا أحد رغم ذلك يدري أن هذا المرح ليس إلا ستاراً يخفي عذابي وضيقي مما أعانيه من سخرية الآخرين مني حتى أني أكاد أتجنب حضور المناسبات، وأحياناً الخروج للشارع.. ففي أي مجتمع به كثرة من الناس كفرح أو مناسبة عائلية أو في جلسات الشباب في العائلة أكون دائماً هدفاً للسخرية، ولا أسلم أبداً من لسان أحدهم حتى ولو جرح مشاعري، فاضطر لأن أجاريهم وأضحك مع ضحكهم عليّ بغير أن يدري أحد منهم ماذا يفعل بي وبمشاعري الداخلية، حتى في دار العلم والتربية والتعليم أي المدرسة لا أنجو من سخرية المدرسين "وتأليسهم" على مما يجعلني دائماً في حالة ضيق من ضحكات زملائي في الفصل، ويوقعني في مشاكل معهم، أما في الشارع فالناس عندما يرون شخصا "تخيناً" يتصورون أنه "فرجة" فأجد دائماً نظرات كلها سخرية ثم يتهامسون وتنطلق الضحكات كالسهام لتنفذ في لحمي..، وفي أحيان قليلة أجد نظرات شفقة.. إنني أسألك ماذا يحدث لو احترم الناس مشاعر الآخرين؟ ألا تكون الدنيا أكثر رحمة؟.. ثم لماذا يتعمد الإنسان جرح أخيه الإنسان؟. وماذا بيدي لأفعله في علة كهذه ليس لي ذنب فيها؟ أن كل هذه الأسئلة تدور في رأسي حتى يكاد ينفجر وقد رسبت في العامين السابقين بسبب التفكير في إجابات هذه الأسئلة، بعد أن زادت في السنوات الأخيرة، وكلما فكرت في أني مقدم على مرحلة جديدة من حياتي وهي الجامعة أكاد أبكي، فأنت تعلم ما يحدث في الحرم الجامعي وفي المدرجات من قصص وحكايات، وأنا لن أحتمل نظرة أو كلمة من زميلة أو زميل فيها جرح لشعوري.

إن الفتيات في الشوارع يضحكن على حالتي فما بالك بما سيحدث لي في الجامعة وهي "تحوي" بعض الفتيات المستهترات اللاتي لا يهتممن بشعور إنسان؟!

لقد رجوت والديّ كثيراً أن يعرضاني على طبيب غدد صماء.. لأني أحس أن بدانتي ترجع إلى خلل في هذه الغدد، إذ أن غذائي هو غذاء شخص عادي جداً.. وأنا وحدي التخين من بين إخوتي.. لكن تقول لمن؟ لقد قالوا إنهم لا يعرفون طبيباً في هذه الغدد في مدينتنا، لذلك أرجو من أي طبيب تخصصه الغدد الصماء أن يذكر

لي مكان عيادته أو أين أجده لكي "أبطل" حجتهم! وعنواني واسمي لدى بريد الأهرام وأرجو في ختام رسالتي أن أوجه كلمة للناس أقول لهم فيها، ارحموا أصحاب العاهات.. ارحموا أصحاب العاهات لأنهم بشر لهم إحساس وشعور ولا تتعمدوا جرح شعورهم، لأنهم ليس لهم ذنب في عاهاتهم لكنها إرادة الله!.. والأجدر بكم أن تشكروا وأن تحمدوا الله أن خلقكم أسوياء أصحاء.. كما أن أي إنسان معرض في أي وقت لأن يكون مثل أحدنا.. فهل يتعظ الناس؟ والسلام..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

إننى أضم صوتي لصوتك في ندائك الإنساني الذي اختتمت به رسالتك.. واتفق معك في ضرورة أن يحترم البشر مشاعر الآخرين.. لكني أختلف معك في هذه "الهالة" التي أحطت بها مشكلتك كما لو كانت مأساة إغريقية غضبت فيها الآلهة على واحد من البشر! فحكمت عليه بهذا العذاب!

إن الأمر ليس كذلك بالطبع.. وبدانة الإنسان ليست عاهة كما تقول إنما هي مشكلة صحية قابلة للعلاج بالإشراف الطبي.. وبشيء من قوة الإرادة.. وهي ليست مثيرة للسخرية إلى هذا الحد الذي تصوره في رسالتك.. بل لعلها مثيرة للاستظراف والألفة وسرعة التعارف في كثير من الأحيان حيث يتمتع معظم البدناء غالباً بشخصيات انبساطية سريعة التآلف.. وخفيفة الروح.. فلماذا كل هذه المبالغة؟ إنني أخشى أن يكون عقلك الباطن وهو يفتش عن سبب وهمي لرسوبك عامين متتالين في الثانوية العامة قد قرر أن يلقي هذه المسؤولية على البدانة، وعلى نظرات الآخرين وسخرياتهم، وأن يعفيك منها.. لذلك فأنت تعتبر أن البدانة هي مأساتك الحقيقية لا الرسوب.. ولست أيضاً أتفق معك في ذلك بل لعل الرسوب هو الذي ضخم إحساسك بالبدانة وبهذه المداعبات البريئة التي يبادلك إياها الزملاء والصحاب، فجعلت منها مأساة بعد أن كانت مزاحاً وبعد أن كنت تتلقاها من قبل بصدر رحب.. وترد عليها ولا تعفي أحداً من تعليقاتك الظريفة! فركز جهدك في دراستك يا صديقي..! وأشحذ إرادتك وانجح وتفوق.. وأني لزعيم لك بأنك سوف تكتشف بعد نجاحك أنك في عيون من حولك أرشق من الغزال حتى لو كنت بديناً جداً..، إن النجاح يخفي العيوب يا صديقي والفشل يجسمها ويبرزها لنا وللآخرين على السواء فكن ناجحاً في حياتك تطب لك الدنيا.. ولا يرى الناس فيك إلا نجاحك وتفوقك.. وكن فاشلاً لا يرى الناس فيك إلا كل ما هو معيب.. ولك أن تختار ما تريد، وسوف تختار النجاح وسوف تجتاز الثانوية العامة وتبني حياتك بإذن الله.. وسوف تضحك من معاناتك هذه حين تتذكرها في مستقبل أيامك، أما عن العلاج إن كانت هناك ضرورة له فلسوف أحيل إليك ما أتلقاه من عروض الأطباء لعلاجك، مع تمنياتي لك بالتوفيق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

بئر الحرمان

أنا مدرسة بإحدى قرى محافظة الغربية، حاصلة على مؤهل عال وتزوجت من زميل لي بعد قصة حب مثالية كلها إخلاص واحترام.. وقد تزوجنا ومجموع دخلنا 60 جنيها هو 30 جنيهاً وأنا 30، وعشنا فترة عسل استمرت 3 شهور حتى زارنا أهل زوجي في القرية التي نعيش فيها، واكتشفت أننا مطالبون برد تكاليف الزواج التي اقترضها زوجي وتمثل ثمن الجهاز... فبدأنا رحلة الحرمان باقتطاع 15 جنيهاً كل شهر من دخلنا وزاد الأمر سوءا أننا كنا ندفع 15 جنيهاً كل شهر إيجاراً للشقة التي نعيش فيها، فجاءت لجنة تقدير الإيجارات سامحها الله وقامت برفع الإيجار إلى ٢٥ جنيهاً. ولك أن تتخيل حياة عروسين جامعيين في أجمل فترات العمر بعشرين جنيها كل شهر.

كانت حياة بلا طعام.. ولا أي ترفيه.. لكننا عشناها ولم نفقد حبنا ولا أملنا في المستقبل ثم رزقت بطفلي.. وزادت مرتباتنا حتى بلغ دخلنا 140 جنيهاً، لكن الحياة نفسها كانت قد التهبت ولم تعد تصلح معها أية مرتبات عادية كمرتباتنا.. ففجأة اكتشفت أني قد أصبحت أفقر إخوتي بلا استثناء، لأنهم جميعاً خرجوا للعمل في الخارج ولم تتح لي هذه الفرصة، هكذا انقسم الإخوة إلى فقراء وأثرياء وأصبح كل إنسان مشغولاً بنفسه، وأن تذكرنا أحد فببدلة لطفلي أحفظها للعيد.. أو بعض الملابس القديمة لاستعمال الطفل في البيت.. والحياة جافة يا سيدي.. وكل يوم كاليوم السابق ولا أمل في أي تقدم، والمشكلة ليست فقط في ذلك لكن المشكلة الأخطر هي أنني أصبحت فجأة أكره زوجي بلا أي سبب سوى لأنه فقير "ولأننا فقراء" لقد ضغطت الحياة على أعصابي فتحول الحب إلى كراهية.. وأصبحت أنظر إليه وأتساءل كيف أصبحت لا أطيق هذا الرجل المثالي الذي أحببته ذات يوم؟.. وكيف أصبحت أشعر معه بالبؤس والفقر؟.. إنني لا أحتمل شبح الكراهية وأحاول أن أشعر نفسي بأي نوع من الرضا أو السعادة فلا أستطيع وإنني أتساءل.. هل يمكن فعلاً أن يتبخر كل هذا الحب بسبب الماديات؟

إنني نحيفة جداً وعصبية للغاية وعمري 32 سنة، وأحس أني سأبلغ الخمسين على هذه الحال من الحرمان فماذا أفعل مع نفسي، أن زوجي يقول لي ثقي في الله وأن الأمل في الله كبير.. وهو غالباً نفس ما ستقوله لي في ردك.. وأنا أقول لك -مقدماً- ونعم بالله لكني لا أكتب لك من أجل ذلك.. وإنما أكتب لك لكي تنشر قصتي لتعرف كل مقبلة على الحب والزواج أن الحب وحده لا يقيم بيتاً.. ولا يربي أطفالاً.. ولكي تفكر كل فتاة قبل أن تقرر أن تتزوج زميلاً لها لا موارد له ولا إمكانيات سوى راتبه.. فتجربتي خير دليل على أن الحب لن يعيش إذا اصطدم بالماديات.. والسلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

إن مشكلتك يا سيدتي ليست في أنك أنت وزوجك وطفل صغير تعيشون في قرية صغيرة بدخل قدره 140 جنيهاً، لكن مشكلتك الحقيقية ومن كلماتك أنت هي أنك "نحيفة جداً عصبية للغاية" أي أن مشكلتك هي أنك ضيقة الصدر بكل شيء.. سوداوية النظرة وشديدة الحسرة لأن إخوتك قد أصبحوا "أثرياء" وأنت فقيرة ولأنك شديدة الانشغال بحالهم وبمقارنة حالك بهم.. لذلك فأنت تأكلين نفسك بدلاً من أن تأكلي طعامك، تماماً كما تبدأ المعدة في التهام نفسها إذا طال بها الجوع، وأنت تزدادين نحافة وعصبية مع كل يوم.. وسيستمر حالك هكذا حتى لو زاد دخلك وتحسنت أحوالك، لأن أجهزة استقبالك الداخلية للأشياء تحتاج إلى تغيير قبل كل شيء ولن ترضي أبداً.. إلا إذا تغيرت أنت من الداخل أولاً، فعندها فقط سوف تسترجعين حبك لزوجك الصابر على ما ابتلاه به الزمن.. سوف تسترجعين إحساسك بطعم الحياة.. فالسعادة إحساس داخلي قبل أي شيء آخر.

أما رسالتك إلى بنات جنسك فإني أترك تقييمها لهن لكني أقول لك إنك بذلك تحكمين حكماً جائراً بأن السعادة حكر على الأثرياء وحدهم وأنه ليس من حق البسطاء أن يتزوجوا وأن يحبوا وأن يستشعروا دفء المشاركة والحياة الزوجية.. وفي ذلك أنت مخطئة إلى النهاية يا سيدتي، فالمال رغم أهميته في تيسير الحياة ليس كافياً وحده لصنع السعادة لأنه قد يشتري أشياء كثيرة لكنه لا يستطيع أن يشترى الحب الصادق، ولا الإخلاص ولا الرضا ولا الحنان. ناهيك عن الصحة وراحة البال "وبئر الحرمان" الحقيقة هي أن يخسر الإنسان سلامة النفس، وأن يعايش الكراهية حتى تجاه أقرب الناس إليه وتجاه البشر. وليس معنى ذلك أني أدعوك للاقتناع بحالك الذي يرضي كثيرين غيرك وإنما أدعوك للخروج من هذا الموقف السوداوي تجاه الدنيا.. إلى موقف الحركة والسعي لزيادة دخلك بأي نشاط إضافي، ومن موقف البغض لكل شيء.. إلى تلمس أشياء عديدة تستحق أن نحبها وأن نرضى عنها مهما كانت أوضاعنا، ومن مواقف الكراهية لزوجك لمجرد أنه فقير.. إلى استعادة حبك له لأنه طيب ومثالي كما تعترفين أنت نفسك أيتها "الجاحدة".

كما أدعوك للوقوف إلى جانبه وهو يبني حياته ومشاركته هذا البناء، وكل إنسان يبدأ صغيراً ثم يكبر وهذه سنة الحياة ولا مبدل لها.. وهكذا فعل إخوتك أنفسهم الذين تنفسين عليهم ما تعتبرينه ثراء.. وما أدراك أنهم قد حققوا السعادة.. أو أن الدنيا قد صفت لهم من كل الآلام؟.. لقد كنت أتصور أنك ستطالبين بزيادة المرتبات وفتح أبواب الأمل أمام الشباب.. ومطاردة الفساد الذي يسمح برفع إيجار شقتك البسيطة بدلاً من أن يقره، أما أن تطالبي الفتيات جميعاً بأن يقاطعن الشباب.. وألا يتزوجن إلا من أصحاب المال.. لو كانوا من أبناء الأفاعي فهذا هو التناقض الغريب حقاً.

وبهذه المناسبة فلقد قرأت هذا الأسبوع دعاء لأحد الحكماء يقول فيه: يا رب امنحني القدرة على تحمل مالا يمكن تغييره والشجاعة لتغيير ما ينبغي تغييره... والحكمة للتفريق بينهما! ألهمك الله "القدرة"، و "الشجاعة"، و "الحكمة".. مع تحياتي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

حالة

أنا يا أبي فتاة في الثامنة عشرة من عمري ولي 3 شقيقات أصغر مني.. وأنا طالبة بالثانوية العامة وشقيقتي التي تليني تدرس بالسنة الثانية بالثانوية التجارية والشقيقة الثالثة توقفت مؤقتاً عن التعليم، وهي حالياً بالمنزل، أما الرابعة فهي بالإعدادية ونحن كنا أسرة سعيدة.. ومازلنا والحمد الله رغم كل شيء.. وكنا نعيش مع أبي وأمي في شقة بالدقي.. ويعمل أبي صانع أحذية ويكسب دخلاً معقولاً وأمي تساعده على نفقات البيت والتعليم بخياطة ملابسنا على ماكينة خياطة وخياطة ملابس الجيران مقابل أجر معتدل.. ولأسباب لا أعرفها حتى الآن وأرجو أن تصدقني تزوج أبي من زوجة ثانية.. ولم يؤد ذلك إلى انهيار أسرتنا لأننا تعاملنا مع هذا الأمر كأنه من عوادي الزمن التي لا نملك لها رداً.. بل واستسلمت أمي للأمر الواقع سريعاً فلم يتجاوز رد فعلها البكاء بين حين وآخر، حين تخلو إلى نفسها خصوصاً أننا 4 بنات ندرس جميعاً في المدارس، فقد نقص ما كان يعطيه أبي لأمي من مصروف وهو أصلاً ضئيل لأنه أصبح ينفق على زوجته الأخرى ثم تناقص أكثر فأكثر حتى انقطع تماماً.. وأصبحت مسؤوليتنا كاملة فوق رأس أمي التي أصبحت مطالبة بالعمل أكثر لتقدم لنا نفقات التعليم إلى جانب نفقات الحياة.

لكن الحياة لم تهدأ حولنا رغم ذلك.. لأن الزوجة الجديدة كانت تعيش في غرفة في بيت قديم تسكنه أسرتها، وتريد أن تعيش في شقة مستقلة.. فماذا يفعل أبي ببساطة شديدة قام بطلاق أمي وطردنا جميعا من الشقة في يوم "لم تطلع له شمس".

ربما تقول لي وأين المحاكم والقانون.. إلخ. فأقول لك إن هذا ترف لا يقدر عليه أمثالنا من المستضعفين.. فكيف لأمثالنا بأجر المحامي والمحاكم ونحن أصلاً لا نعرف طريق المحكمة، وحتى لو حصلنا على حكم بالبقاء في الشقة فماذا نفعل لو ضربنا أبي كل يوم لكي نغادرها؟ لقد حلمنا ثيابنا وتجولنا نبحث عن سكن في أحد الأحياء الشعبية حتى وفقنا الله إلى العثور على غرفة في شقة مشتركة بحي بين السرايات بإيجار كبير هو 20 جنيهاً كل شهر.. ومقدم إيجار 300 جنيه هل تتصور؟ طبعاً ستسأل من أين لنا بهذا المبلغ وستقول إننا لابد بعنا ماكينة الخياطة وأشياء أخرى.. فأقول لك بل بعنا كل أثاث البيت ما عدا سرير واحد وكنبة وبعض الأدوات المنزلية أما ماكينة الخياطة فلقد انتزعها منا أبي سامحه الله بحجة أنه دافع ثمنها.. فخرجنا إلى الحياة وحدنا بلا حتى ماكينة الخياطة التي كانت سلاحنا الوحيد وقد فشلت كل محاولاتنا مع أبي للحصول منه على أي مبلغ شهري بلا فائدة بحجة أننا "كبار" ونستطيع أن نعتمد على أنفسنا، في حين أن له أبناء صغاراً يحتاجون إلى كل قرش ولم يفكر في أننا بنات.. وماذا نفعل ونحن في منتصف مراحل التعليم.. هل نتوقف ونخرج للعمل.. وأين نعمل.. وماذا تستطيع أن تعمل ابنة الثامنة عشرة ياربي كشقيقتي، لكن أمي البطلة متعها الله بالصحة والعافية قالت لنا لا تحملن هما ستواصلن التعليم.. وفعلاً أصبحت تخرج لتقوم

بخياطة الملابس في مساكن الزبائن بعد أن كانوا يأتون إليها.. واستمرت حياتنا بعد ذلك عادية ضايقنا بالطبع أننا أصبحنا نعيش في شقة مشتركة بعد أن كنا نعيش في شقة مستقلة.. وضايقنا بالطبع أن شريكنا في السكن ليس أسرة ولا فتاة مثلنا لكنه شاب غريب عنا.. لكن ماذا نفعل يا سيدي.. هذا هو الواقع.. فكيف نغيره.. ثم إن الحياة ليست بهذه القسوة التي نراها في بعض الأفلام.. فالحاجة يا سيدي تقرب بين الناس وتعلمهم التراحم.. فهذا الشاب الغريب مثلا لا يضايقنا ولا يتعرض لنا بسوء وفيه ذوق وحياء ومثله كثيرون يعيشون في حياة مشتركة تمضي بسلام بسبب حاجة الجميع إلى استمرار الحياة.

إذن ما المشكلة.. المشكلة هي في صاحبة البيت.. فلقد ذهبت بهجة الـ 300 جنيه. وبدأت "تنظر" للغرفة التي نقيم فيها وتريد إخراجنا منها لأننا 5 أفراد. لكي تسكنها لساكن وحيد بمقدم إيجار جديد.. وهكذا بدأنا نتعرض للمتاعب منها وبدأ أولادها يتشاجرون معنا كل يوم ويعتدون علينا، ونحن الآن نرتعد من الخوف لأن لصاحبة المنزل أبنا "بلطجياً" حذرنا الجيران منه ومن أنه سوف يعتدي علينا لإجبارنا على مغادرة البيت.. ونحن لا نريد شيئاً سوى أن نعيش آمنين.. ولا نستطيع أن نجد بسهولة سكناً آخر وأبي غير موجود.. وغير مستعد لسماع أي مشكلة لنا فهل تستطيع معاونتنا في ذلك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

إني أستطيع على الأقل أن أبذل جهدي لمعاونتك في الحصول على حقك القانوني في العيش آمنة في هذا السكن "المؤقت" الذي تعيشين فيه.. فليس من الطبيعي أن تعشن إلى الأبد في شقة واحدة مع شاب غريب وأنتن 4 فتيات وأمهن.. ولو كان الأمر بيدي لاعتبرت حالتكن من حالات الاستثناء الضرورية التي تعطيكن الحق في مسكن شعبي، أو في مأوى مؤقت إلى أن يحل دوركن في المسكن تماماً كحالات انهيار المساكن القديمة.. فأنتن أيضا تمثلن حالة انهيار أسرة.. وحالة "انهيار" أشد للقيم،.. سمحت لأبيك هذا فاقد الرجولة وفاقد النخوة أن يستولي على شقتكن وأن يطردكن إلى الشارع لتقمن في سكن مشترك مع شاب غريب وتتعرضن لتهديد ابن بلطجي لإخلائه.. بعد أن ضاعت "بهجة" مقدم الإيجار.. وما أفظع ما تفعل بنا فضيحة أزمة المساكن.. وما أبشع ما تصنعه بالقيم وبالعلاقات الإنسانية في كثير من الأحيان.. لكن هذا حديث يطول ولم تعد تجدي فيه الكلمات.. لذلك أقول لك إن غاية ما يستطيعه جهد بريد الأهرام المتواضع هو أن يناشد من أجلكن المسؤولين بمحافظة الجيزة لاعتباركن حالة استثنائية صارخة تستحق مأوى مؤقتاً من مساكن الإيواء العاجل، وأن يقدم لوالدتك المكافحة ماكينة خياطة تغنيها عن التجوال بين بيوت العملاء. وأن يقف إلى جواركن بقدر الاستطاعة إلى أن تنتهين من مراحل تعليمكن الممكنة، وإلى أن تخرجن للحياة وتحملن عنها

العبء وتعوضنها عما لاقت من الحياة وليتنا كنا نستطيع أن نقدم لكن أكثر.. لكن ماذا نفعل.. وقد صح منا العزم.. وأزمة الإسكان تأبى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نـافذة علـى الـجحيم

أنا زوجة خفيفة الدم مرحة عمري 35 سنة.. كنت أحب الحياة منذ 17 عاماً إلى أن رزقني الله بزوج نكدي ثقيل الظل، لكن مركزه الاجتماعي كبير، فسارع أبي بتزويجي له دون فترة خطوبة ودون أن يتاح لكل منا اكتشاف الآخر.. فرزقني الله منه 3 أطفال و 3 طلقات متوالية منه عدت إليه مرغمة لأني بكل أسف من غير شهادة ولا مورد لي سوى نصيبي من إيجار عقار لا يتجاوز الـ 45 جنيهاً.. ومشكلتي مع هذا الرجل "الندابة" أنه لا يعرف شيئاً إلا النكد والقرف وله قدرة كبيرة على ابتكار المشاكل.. فهو يا سيدي دائم الشك فيّ بلا سبب ومع طوب الأرض بلا استثناء، حتى مع البقال والزبال وأي عابر سبيل، فإذا اختصني البقال مثلاً بسلعة غير متوافرة في السوق كالأرز مثلاً.. فلقد فعل ذلك لأنه يحبني وقد شجعته أنا على ذلك، وإذا خدمني الزبال مثلاً بإحضار شغالة أو شراء الجرائد لي فهذا لأنه معجب بي وأني أشجعه وأتمادى معه،وإذا حضر أحد أصدقائه وسألته بأدب ماذا تشرب يا أفندم..فهذا الصديق يتطاول بنظراته وأنا أبادله مثلها.. وهكذا كل الجيران والكوافير وخلافه، وحتى المارة في الشارع فلو نظرت من نافذة السيارة في الطريق على رجل عابر فلابد أني أعرفه.. ولو نظر أي شخص إلى مسكني فهذا لأنه يعرفني ولو اهتممت بباب معين في إحدى الصحف فهذا لأني أعرف صاحبه.. لو صففت شعري وارتديت ملابس معقولة، فلابد أن هناك سبباً. ولا أنجو من لسانه وألفاظه الجارحة وهكذا فلكي تمضي الحياة بسلام مطلوب مني أن أكون منكوشة مبهدلة وبلا صديقات وبلا ناس ولا أهل ولا أقارب تماماً، وبسبب متاعبي وضعت همي في الأكل حتى أصبحت بدينة جداً، إنها ليست ملهاة ولكنها مأساة فما تظنه شيئاً تافهاً قد تسبب في تنقلنا حتى الآن بين 3 مدن، في كل منها حدثت فضيحة في الحي بسبب شكوكه ولسانه.. فلا نجد مفراً سوى طلب النقل إلى مدينة أخرى لكي نبتعد عن الجيران الذين شاهدوني وأنا في هذه المهانة ثم يصل الأمر إلى الطلاق.. ثم الصلح من أجل الأولاد.. ثم أعود مرغمة لأني بلا شهادة وبلا مورد ليتكرر العذاب من جديد.. إنه زوج لا بأس به لولا شكوكه. وهو يعطيني كل راتبه وحوافزه أول كل شهر وهو مبلغ يصل إلى 600 جنيه، وهو مسرف بالنسبة لأولاده وهو أنيق ووسيم لولا هذا الداء الفظيع فيه.. إنني أكتب لك ولا أريد منك حلاً لأن مشكلتي بلا حل، لكني أكتب لك طالبة منك أن تنصح كل فتاة ألا تهمل تعليمها.. وأن تكون لديها شهادة تتسلح بها ضد الزمن وتعمل بها إذا تغيرت الأحوال، فلولا أني بلا شهادة لما تحملت هذه الحياة ولا هذه الفضائح.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

إن رسالتك كافية لإقناع أية فتاة بألا تهمل تعليمها.. لذلك فلا حاجة لنصحي لكني أريد أن أقول لك أنت بضع كلمات أرجو ألا تغضبك.. إن الثقة بين الزوجين شرط

أساسي لاستمرار الحياة الزوجية وللسلام النفسي لكل من الطرفين.. لكن هذه الثقة لها تبعات عديدة لابد أن يتحملها كل طرف، وأولى هذه التبعات أن يكون سلوكه جديراً بالثقة والاحترام.. فإذا أثار بتصرفاته الطائشة وحتى لو كانت بريئة شكوك الآخر.. فإنه يفتح على نفسه أبواب الجحيم، وأنت فيما يبدو لي من رسالتك على شيء من "الخفة" التي قد تظلمك بغير قصد.. وأعني بذلك أنك "بحبوحة" بعض الشيء مع الجميع بدعوى المرح وخفة الدم كما تقولين في رسالتك.. لكن المشكلة أن البعض قد لا يحسنون فهم الأمور على حقيقتها.. ومن هنا تأتي المتاعب.. وأبسط دليل على ذلك أن زوجك نفسه يسيء الظن بهذه الخفة.. وقد تعرضتم بسبب ذلك لمتاعب جمة أدت إلى تنقلكم بين 3 مدن وإلى طلاقك 3 مرات، فماذا تريدين أكثر من ذلك وماذا يريد هو لكي يتمالك نفسه وأعصابه ويستعيد ثقته فيك وفي نفسه قبل كل شيء، هل تريدون أن تتنقلوا بين القارات الخمس؟ أن من المؤسف حقاً أن يتصرف أزواج مثقفون بهذه الحماقة ومن المؤكد إن زوجك مغال في شكوكه وظنونه، لكن المشكلة أن جحيم الشك إذا اشتعلت نيرانه لا يفرق بين مثقف وأمي.. ولا بين غر ساذج.. ورجل ناضج.. فأغلقي هذا الباب على نفسك يا سيدتي وعلى أسرتك، وفي ذلك تقع عليك المسؤولية الكبرى.. أن تغرسي في نفسه الثقة في سلوكك وتصرفاتك.. فتصرفي مع الجميع برصانة واحترام ولا ترفعي الكلفة مع كل إنسان بلا داع، وسوف تختفي متاعبك إن شاء الله.. وعموماً فإني أنصحك بقراءة الرسالة السابقة لعلها تفيدك في اكتشاف بعض "المزايا" الأخرى في زوجك وفي حياتك التي قد تدفعك للرضا عنها بعض الشيء وللحرص عليها مع تمنياتي لك بالسعادة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في القطار

أشعر بالراحة والأمان وأنا أقرأ بريدك، لذلك قررت أن أكتب إليك طالباً منك المشورة فيما أواجهه الآن من مشاكل في حياتي.. فأنا يا سيدي رجل في السابعة والأربعين من عمري.. متعلم وأعمل بالأعمال الحرة ودخلي كبير والحمد الله ومن أسرة كبيرة، وقد تزوجت منذ خمسة عشر عاماً من سيدة اخترتها لنفسي أو اختارها قدري، لي فحولت حياتي إلى جحيم من خلال مشاكل لا تنتهي وكلها وللأسف مشاكل مادية.. إذ لم تكن أمينة على بيتها من الناحية المادية وإنما كانت تمد أهلها بالنقود بدون علمي، وقد حاولت مراراً إصلاحها ففشلت خصوصاً أنها كثيرة المشاكل وسليطة اللسان. وكنت قد أنجبت منها ولداً وبنتاً فضقت بحياتي معها وخلال معاناتي لهذه الظروف تعرفت على فتاة من الإسكندرية وتزوجنا منذ عدة سنوات، فكان زواجي كارثة كبرى بالنسبة لزوجتي الأولى التي تحولت بعده إلى نمرة مفترسة.. لكن الزمن أقوى من الجميع فهدأت زوابعها واستسلمت للأمر الواقع بعد فترة وتحملتها خلالها وصبرت عليها.. **إلى أن عادت الحياة إلى طبيعتها بيننا بعد عذاب، لكني لاحظت بعدها أن نهمها للنقود قد زاد زيادة كبيرة بعد زواجي الثاني.. وأن مطالبها المادية قد تضاعفت وأن مصروف البيت أصبح يتطاير بعد أيام في أشياء غير ضرورية وكأنها تريد أن تستنزفني لتستحوذ على أكبر قد من نقودي قبل أن تأخذه زوجتي الأخرى.. كما تعتقد هي.**

ورغم ذلك فلقد حاولت تجنب المشاكل معها وحاولت مداراتها بقدر الإمكان.. وأسكنت زوجتي الجديدة في الإسكندرية في شقة مفروشة أدفع لها إيجاراً مائة جنيه كل شهر ورزقني الله منها بطفلين. وأصبحت أقسم أيامي بين القاهرة والإسكندرية فأمضي في القاهرة ثلاثة أيام وفي الإسكندرية ثلاثة أيام وكنت عادلاً كما أوصى الله سبحانه وتعالى، فلا أفضل واحدة على الأخرى ولا أبنائي من هذه على أبنائي من تلك، وتحملت عناء الانتقال والسفر في الأسبوع مرتين وأحياناً أكثر لكيلا أظلم أيهما، وتحملت العوالم النفسية الناتجة عن ذلك لكني يا سيدي أصبحت أجد نفسي في دوامة لا تنتهي من المصروفات فهناك مصروف شهري للبيت الأول.. ومصروف شهري للبيت الثاني، ومصروف ونفقات مدارس وعلاج وملابس للأولاد في القاهرة ومصروف ونفقات مدارس وعلاج وملابس للأولاد في الإسكندرية، وهدايا للأولى في المناسبات وهدايا للثانية في المناسبات، ومصروف شخصي لي ونفقات السفر والانتقال كل يومين بالقطار بين المدينتين، حتى أصبحت أقضي ساعات طويلة كل أسبوع في القطار ذاهباً وعائداً.

وحتى أصبح دخلي الذي يصل إلى 1500 جنيه كل شهر يتبخر في الهواء بدون أن أدخر منه شيئاً لأبنائي أو للمستقبل.

وزاد الطين بلة أني لم أجد الأمان الذي بحثت عنه لدى زوجتي الأخرى، رغم أنها كانت حليمة وطيبة ومطيعة معي فلقد نفرت من تصرفات أمها فعزلتها عنها.. وبدأت أجد الراحة معها ونحن وحدنا لكني لاحظت منذ عامين أن أمها وهي لا مورد لها سوى معاش شهرى بسيط، قد بدأت البناء في قطعة أرض صغيرة

تملكها في بلدتها فساورني الشك إذ من أين لها بالنقود للبناء إلا من زوجتي، وتعذبت بذلك فترة ثم قررت أن أتجاوز عنه رحمة بنفسي ولكيلا أدخل في متاهات جديدة، لكني عرفت لحظتها وبكل أسف أن الثانية كالأولى لكن الثانية حريصة وتفعل ما تفعله في تكتم شديد، أما الأولى فهي لا تعرف كيف تداري أمورها. ثم تدهورت الأحوال عقب ذلك حين نشب خلاف بيني وبين أمها فإذا بها تتناولني بكلمات جارحة لم أستطع حتى الآن أن أنسى مرارتها، وإذا بزوجتي تنضم إليها لا في السباب وإنما في موقفها ضدي، وكان ذلك قاسياً عليّ حتى بعد انتهاء الزوبعة. فتوقفت أراجع نفسي.. لأجد أن سنوات عمري قد ضاعت هباء.. بين زوجتين لم تقدراني.. ولم تأخذهما بي رحمة.. وتوقفت لأفكر ولأسألك ماذا أفعل. هل أطلق الاثنتين.. وأتزوج؟ وإن فعلت ما هو ذنب الأطفال؟ إننى أرجوك أن ترشدني إلى الحل السليم فقد أصبحت إنساناً محطماً تماماً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

يا سيدي لقد صنعت بنفسك كل ما تشكو منه.. فلقد تزوجت ورزقت بطفل وطفلة.. وتوافرت لك أسباب السعادة لكنك تقول إن زوجتك قد حولت حياتك إلى جحيم بسبب مشاكل مادية لأنها تعطي ذويها من مالك.. ولا أحد يستطيع أن يجزم بذلك.. وحتى لو كان صحيحاً فهو ليس وحده سبباً كافياً لتدمير حياة سعيدة من باقي الوجوه لكن شكوك بعض التجار المادية تغلب عليهم حتى في حياتهم الخاصة، فيتصورون أنفسهم دائماً هدفاً لأقاربهم ولذويهم خصوصاً إذا كانوا أقل مالاً منهم، ولا يعفون من شكوكهم المرضية هذه أقرب الناس إليهم حتى زوجاتهم خصوصاً إذا كن أدنى منهم في المستوى المادي.. وحتى لو افترضنا أن ما قلته صحيح فماذا كانت النتيجة؟ لقد كانت هناك أكثر من وسيلة لعلاج مشاكلك المادية مع زوجتك، لكنك بدلاً من أن تسعى لحلها أو تتنازل قليلاً عن بعض شكوكك تجاهها لكي تسير السفينة وتمضي الحياة بينكما، داويت الداء بالداء. وأقدمت على مغامرة زواج جديد، فكنت كالمستجير من الرمضاء بالنار.

فلقد تزوجت وأنت زوج وأب.. ومن الطبيعي أن تكون الزوجة الجديدة من مستوى اجتماعي أقل منك لترضى بك بوضعك هذا.. ومن الطبيعي أيضاً أن تتصور أسرتها البسيطة أنها ستنعم معها ببعض اليسار.. لكن طبيعتك الشكاكة لا تتخلى عنك.. وتعود الهواجس لتساورك في زوجتك الثانية وفى نفس الزاوية.. ثم تنفجر الأزمة حين تسمع بأن أسرتها تبني غرفتين فوق قطعة الأرض، ولابد أنك قد أجريت تحقيقاً انتهى بانفجار مدو جعلك تتوقف لتراجع حياتك، تتحسر على السنوات التي ضاعت من عمرك هباء، ثم تتساءل هل تطلق الاثنتين وتتزوج من جديد؟ أقول لك يا سيدي لا تطلق الاثنتين ولا تتزوج من جديد لأن وضعك الحالي هو الوضع المثالي، وإنما لأن ما تفكر فيه هو خطأ أفدح منه، فعلاج الأخطاء لا يكون بارتكاب أخطاء جديدة يدفع ثمنها أبرياء حاليون.. وأخرون في علم الغيب

ولا ذنب لأبناء زوجتك الأولى ولا أبناء زوجتك الثانية في ظنونك وشكوكك وحسك المادي المرتفع الذي يفسد عليك حياتك.. ولا جريرة لهم في مغامراتك السكندرية التي أثمرت طفلين بريئين.. فاستمر يا صديقي في السفر بين القاهرة والإسكندرية كما تفعل.. وفي محاولة أن تكون عادلاً بين الزوجتين بقدر الإمكان.. واستمر في تجرع هذا العذاب لأنك أنت الذي اخترته لنفسك ولأنك قد بدأت المشوار وخطوت إليه بقدميك، وعليك أن تواصله إلى النهاية واقض العمر غادياً رائحاً بين المدينتين كما قضت آلهة الإغريق على سيزيف بأن يقضي عمره هابطاً صاعداً بين قمة الجبل وسفحه، حاملاً الصخرة فوق صدره، وكلما صعد بها إلى القمة ألقتها الآلهة إلى السفح وطلبت منه حملها للقمة من جديد، فعذاب سيزيف هذا الذي تعانيه أهون كثيراً من أن أبناؤك في كلتا المدينتين ثمن ارتكاب خطأ جديد، يدفع كما لو كنت لم تتعلم من تجربة واحدة.. ولا من اثنتين.. وتريد أن تضيف إلى قائمة أخطائك خطأ ثالثاً.. فارض يا سيدي بما اخترته لنفسك.. وما جنيت على نفسك.. وحين تفكر في سنوات عمرك الضائعة حاول ألا تكون "ذاتيا" مشغولاً بنفسك فقط، وأن تتذكر أيضا أن هناك "قبيلة" من البشر تضم زوجتين و 4 أطفال، شاءت أقدارهم أن يرتبطوا بك وعليك أن تحميهم من الضياع هم أيضاً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عطر السنين!

أكتب إليك على استحياء شديد منك. وأرجوك ألا تسيء الظن بي. أنا يا سيدي رجل مسن كنت قد أتممت تعليمي العالي بامتياز، ثم وفقت فيما بعد ذلك إلى دراسات عليا كثيرة في نواح شتى من اللغات الأجنبية إلى الإدارة إلى التنظيم، إلى النواحي المتعمقة في حقل تخصصي كما سافرت إلى عدد كبير من دول أوروبا وأمريكا وأفريقيا وآسيا في مهام عملية ودراسية وتدريبية لمدد طويلة وقصيرة، وقد أهلني كل ذلك بالإضافة إلى عملي إلى القيام بالتدريس في جامعات القاهرة والإسكندرية وحلوان وبعض مراكز التدريب المتخصصة كأستاذ منتدب لمستويات البكالوريوس والدراسات العليا بعد البكالوريوس - أما عن العمل الأصلي فقد تدرجت فيه إلى قمته الوظيفية بما يعادل درجة نائب وزير ثم بلغت سن التقاعد منذ بضع سنوات، واستمر نشاطي العملي وكذلك نشاطي الفني كمستشار لعدة سنوات بعد ذلك. ثم حدث ما لم يكن في حسباني أصيبت زوجتي بالمرض، ثم لقيت ربها بعد فترة عذاب طويلة تحملتها هي - عليها رحمة الله بصبر وإي**مان عظيمين. ولقد كانت رحمها الله المثال الحي الكامل للزوجة الصالحة كما وصفها رسول الله عليه الصلاة والسلام. إذا نظر إليها زوجها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وفى ماله.. كان زواجي منها فاتحة خير لي في كل نواحي حياتي، ورزقني الله منها ذرية صالحة أحمد الله عليها.. وكانت خير معوان لي على طاعة الله.. رافقتني في أداء فريضة الحج رافقتني بعد ذلك في أداء العمرة، وكانت تصلي الفروض في أول أوقاتها. وتقرأ القرآن كلما وجدت وقتاً.. وتعمل ما تعتقد أنني أحبه قبل أن أطلبه منها.. وكانت تحب إخراج الصدقة وتعين عليها. وتحب فعل الخير لكل الناس وتتطوع به. تحنو حنواً صادقاً على كل من حولها. وكانت جميلة الخلقة والخلق. لم يعكر صفو محبتنا شيء على مدى بضعة وثلاثين عاماً تقلبت فيها أحوال الدنيا، وهي على ما هي عليه من حب وإخلاص ووفاء وسماحة نفس. ولست أقول هذا الآن بعد أن ماتت. بل طالما اعترفت لها به فيما بيني وبينها دائماً. وأمام أولادنا مرات لا تحصى تحية لها ولحثهم على إكرامها وتقديرها والبر بها، وحديثي إليك عنها هو من نوع التحدث بنعمة الله، فقد أعطاني من فضله. خير متاع الدنيا. واسأله أن يتم نعمته عليّ فيجعلني من الشاكرين وأن يتوفني مؤمناً ويلحقني بالصالحين، وأن يجزيها عني خير الجزاء إنه على كل شيء قدير، ومن التحدث أيضا بنعمة الله أن أقول إنني بحمد الله في صحة لا بأس بها بالنسبة لسني. وإن رزقي بفضل الله يكفي متطلبات الحياة المعتدلة في يسر لا إسراف فيه ولا تقتير. وإن الأبناء قد تزوجوا والحمد الله بعضهم في حياة الأم وبعضهم بعد وفاتها، ومنذ رحيلها - عليها رحمة الله - وأنا شديد الإحساس بمكانها الخالي إلى جانبي. دائم التذكر لما كان بيننا، دائم الحنين إلى ذلك الماضي، في رضاء بقضاء اللهِ سبحانه وتعالى، له ما أعطى وله ما أخذ وله الحمد في الأولى والآخرة و "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" وبالطبع قد زاد الشعور بالوحشة بعد زواج الأولاد، ولقد نصحني بعض أصدقائي باستئناف حياة جديدة مع زوجة أخرى. بمنطق لا بأس به ملخصه أن المرء لا**

يعلم كم بقي أمامه من العمر.. فإذا كان العمر الباقي طويلا فكيف يقضيه وحيدا؟ ولماذا؟ إن هذا يعذب الحي ولا يفيد الميت.. كما أن البحث عن زوجة جديدة إذا كان الآن ممكناً فإنه يصير أصعب منالاً كلما تقدمت السن.. وحذرني أصدقاء آخرون من هذه الفكرة بمنطق لا بأس به كذلك ملخصه: أن أي زوجة أخرى سوف تكون لها ارتباطات ومسؤوليات وطبائع ثابتة وأهداف مرجوة تؤدي إلى عدم التوفيق في هذه الحياة الزوجية. كما أنه من الخطأ التعرض لاحتمال إنجاب أطفال جدد في هذه السن وتركهم بعد ذلك أيتاماً، ومع أن مسألة إنجاب الأطفال هذه ليست حتمية خصوصاً إذا كان المرء عاقلاً فلم يتزوج إلا من تكون فوق الخمسين.. إلا أن تعارض الأهداف من الزواج. وكذلك تعارض الارتباطات والطباع أمر وارد أيضا لكل ذلك فأنا حائر بين شعور شديد بالوحشة والوحدة. وبين نصيحتين متعارضتين بالزواج وبعدم الزواج في نفس الوقت. ووسط هذه الحيرة وجدت نفسي أكتب إليك متلمساً المشورة عندك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

إنني يا سيدي أقدر حيرتك بين الرأيين فكلاهما له وجاهته وله أسبابه وجوانبه المنطقية.. لذلك فمن الخطأ أن يصدر الإنسان حكماً عاماً في مثل هذه الأمور فيقول.. إن الزواج بعد رحيل شريك العمر عقب رحلة طويلة من العشرة الجميلة، هو الأنسب لكي يؤنس الإنسان وحدته في شيخوخته، أو يحكم بعكس ذلك فيقول إنه خطأ لكل الاعتبارات التي ذكرتها، وإنما الأقرب إلى المنطق هو أن يقول المرء أن لكل إنسان ظروفه الخاصة وشخصيته المنفردة، وإن ما يصلح لإنسان قد لا يصلح لآخر، فبعض الناس يتحملون الوحدة ويجدون في أنفسهم القادرة على مواجهة الحياة وحدهم في كل مراحل العمر، ويؤمنون بأن لكل مرحلة من العمر جمالها.. ولا يشعرون برغبة قوية في خوض غمار تجارب جديدة في خريف العمر، والبعض الآخر لا يستطيعون أن يتحملوا مرارتها في خريف العمر وفي هذا العصر الذي ينشغل فيه كل إنسان بنفسه وعالمه الصغير، عن غيره، ولا يعوضهم عن غياب رفيق الرحلة، حنان الأبناء أو اهتمامهم، ويرون أن هناك فارقاً جوهرياً لا يشعر به إلا من عانى التجربة بين أن يكون للإنسان من يهمه أمره ويهتم هو بأمره، وبين أن يكون متوحداً في الحياة يبر به الأبناء بين حين وآخر.

ولكل إنسان أن يبحث عن سعادته بالطريقة التي تحققها له مادامت الوسيلة شريفة ومشروعة، فإذا كان يفتقد الرفيق فماذا يمنع من أن يلتمس العزاء والمشاركة وأنس الصحبة والسكن وتبادل الاهتمامات الصغيرة مع رفيق سفر، يكمل معه بقية الرحلة، أليست السعادة هي غاية الحياة المثلى يا سيدي؟ فمن ماذا يمنع من التماسها إذن فيما أحل الله وشرعه؟ إذا كانت الوسيلة إلى ذلك هي رفيق سفر جديد. على أن المشكلة هنا فليس في القرار وإنما في الاختيار، ومن أولى

علامات التوفيق ألا يكون القرار سببا في إثارة الخلافات بينك وبين من يهمهم أمرك وهم أبناؤك وبناتك، فإذا باركوا جميعا خطوتك وأعانوك عليها فإن الاختيار هنا يصبح خطأً فاصلاً بين طريقين.. يؤدي أحدهما إلى السعادة ويفتح الآخر أبواباً العواصف والقلاقل، في مرحلة من العمر لا تحتمل مثل هذه الزوابع لذلك فإنك ينبغي أن تتخير جيداً من تسكن إليه بقية الرحلة، واحتمالات النجاح كبيرة إذا ما توافر في الأمر منذ البداية التقارب المعقول في السن والتكافؤ الاجتماعي والثقافي، وإلى جانب كل ذلك الرغبة الصادقة المتبادلة في أن يجد كل منكما في الآخر رفيق سفر لرحلة مجللة بهدوء الشيخوخة وناضجة بعطر السنين مع تمنياتي لك برحلة سعيدة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

القفص الذهبي

أنا سيدة في الثالثة والثلاثين من عمري.. أعمل محامية... وموفقة في عملي جداً ولي شخصيتي البارزة في وسطي ولدى عملائي.. وأربح كثيراً والحمد لله.. ومنذ 4 سنوات شاءت الظروف أن أتعرف عن طريق عملي بشاب محاسب في الخامسة والثلاثين من عمره. كان مطلقاً بغير أولاد.. وقد جاء إلى سعياً إلى حل بعض المشاكل التي تخلفت عن الطلاق. فتوليت أمره وساعدته بأمانة في حل مشاكله.. ووأقنعته بأن يكون عادلاً مع مطلقته فلا يراوغ في أداء حقوقها.. وفي نفس الوقت يحصل على حقوقه كاملة، وأعترف لك يا سيدى بأنني قد شددت إليه من الوهلة الأولى التي دخل إلى فيها مكتبي بطلب معاونتي القانونية. بالرغم من أني أقابل العشرات كل يوم وأقف في ساحة المحكمة بين العشرات، وأعامل الجميع بجدية واحترام، لكن ماذا تقول في أمر القلوب؟ كنت قد جاوزت الثلاثين ولم أتزوج ولم أرتبط عاطفياً بأحد بالطبع، وأنا على درجة معقولة من الجمال أخفيها تحت مظهري المحترم. ووجدت نفسي مشدودة إليه.. إذا جاء يكلمني في أمر من أموره وددت لو لم ينه الحديث. وكلما همّ بالإنصراف خلقت له مبرراً جديداً لمواصلة الكلام في القضية.. وكلما انصرف استدعيته للحديث عن القضية أو لعمل إجراء شكلي لا يستدعي حضوره كما لو كانت قضيته هي قضية الموسم، وكلما سألني عن المصاريف أو الأتعاب قلت له بكرم فيما بعد. إلى أن بدأ يحس بأن المسألة ليست مسألة قضية أحوال شخصية، وإنما هي قضية حياتي، فبدأ يستجب لي وبدأ يميل إليّ ويبدي استعداداً للبقاء معي.. لكني كما قلت لك إنسانة جادة ولا أعرف العبث.. ولذلك لم أجد مناصاً من أن أفاتحه الموضوع بصراحة. فقلت له إنني كما فهمت ولا أجد مبرراً للإنكار لكني لا أعرف إلا الطريق المستقيم ولا أقبل العبث ومن حقي أن أتزوج من اختاره قلبي لهذا فإني يا سيدي أريد أن أتزوجك، قد تتساءل بهذه البساطة فأقول لك نعم بهذه البساطة ولماذا لا يكون من حق المرأة أن تسعى السعي الشريف إلى الزواج ممن تقتنع به؟ لماذا تنتظر أن تأتي المبادرة دائماً من الرجل.. ثم ماذا إذا انتظرناها ولم تأتي؟

إنني لا أرى عجباً في ذلك.. ولو كان قد رفضني ما كنت قد غضبت لكرامتي. بل لعلي كنت قد رضيت عن نفسي أني حاولت وأني لم أقصر في حق نفسي. خصوصاً وأنه ليس لي من الأهل من يمكن أن يقوم عني بهذه المهمة، فالأقارب كل منهم مشغول بنفسه وليس بعد الأب والأم من قد يهتم بأن "يكشف وجهه" في الحديث مع أحد من أجلك، ولأني وحيدة بلا أم ولا أب فلقد اضطررت أن أكشف وجهي وأن أطلب ما أراه من حقي بنفسي.

لقد شردت بعيدا عن الموضوع لأني تصورت أن هذه التساؤلات سوف تثور في ذهنك وأنت تقرأ رسالتي. لذلك فقد بادرت بالإجابة عنها. وأعود بعدها لاستكمال قصتي.. فأقول لك إنه لم يدهش كثيراً من حديثي وكأنه كان يتوقعه ثم صارحني بأنه يرغب في زواجي فعلاً لكنه خارج من طلاق وليس معه سوى ملاليم. فهونت عليه الأمر وقلت له إنني في سبيل سعادتي لا أبخل بشيء، فعقدت قراني عليه

وكانت لديه شقة على البلاط ليس فيها سوى سرير سفري صغير وبعض الجرائد القديمة.. وثلاثة أطباق وبضعة أكواب.. هي مابقي منها بعد طلاقه، وشمرت عن ساعدي وبدأت الكفاح لتحويل هذه الشقة الخالية إلى جنة، فبدأت بطلائها ثم فرشتها بأثاث فاخر. ولم أبخل بشيء.. حتى الثلاجة المستوردة والتليفزيون الملون والمكنسة الكهربائية اشتريتها جميعاً ولم يفتني أن أشتري له ملابس أنيقة ليبدو في أحسن صورة. وباختصار أنفقت كل ما ادخرته من المحاماة خلال سنواتي السابقة وكنت سعيدة بذلك، وعشنا حياة هادئة جميلة أدعوه بابا ويدعوني ماما، لم أتشاجر معه يوماً واحداً.

ومضت حياتنا هادئة يذهب إلى عمله في الصباح، وأذهب إلى عملي ومرت 4 سنوات من السعادة ثم فجأة تغير الرجل بلا أدنى سبب. ولم يطل تغيره فقد طلب مني فجأة أن آخذ كل شيء من الشقة وأن أتركه لأنه سيتزوج للمرة الثالثة.. ولا تتصور حالي حين طلب مني ذلك وصمم عليه.. فلم أجد مفراً من ذلك، فحملت أثاثي وكل ما اشتريته وغادرت شقته، وبعد أيام اتصلت به توسلت إليه أن نعود كما كنا، فكان رده على أنه قد خطب فتاة أخرى وأنه يحبها وأنه يستعد للزواج منها، وأنه ليس في حاجة إليّ، فبكيت أنني أكتب إليك هذه الرسالة بعد شهر واحد من الطلاق، وأنا في حالة لا أستطيع أن أصفها لك فأنا محطمة أتمنى أن يعود إليّ ولو معه زوجة أخرى.. وأتمنى أن أرجع إلى بيتي الذي أثثته بيدي وبنيت كل طوبة فيه. لكن أقول لمن.. ومن يسمعني.. إنني أعرف أنه لا يستحق كل ذلك لكن ما هو ذنبي إني أكتب إليك لأسألك هل أستطيع أن أواصل الحياة مرة أخرى.. وماذا أفعل.. وبماذا تنصحني؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

أنصحك يا سيدتي بشيء واحد أن تحترمي نفسك وأن تكفي عن الجري وراء سراب لن يتحقق، فزوجك السابق لن يعود إليك لسبب بسيط هو أنه لم يحبك أبداً خلال السنوات الأربع التي عشتماها معا. وأغلب الظن أنك قابلته وهو في حالة ضعف عقب طلاقه من زوجته الأولى.. وخروجه من الطلاق مفلساً فضلاً عن المتاعب النفسية التي خلقتها له أزمة الطلاق. ووجدك تعرضين نفسك عليه بكرم، وتبسطين يدك للإنفاق بسخاء على زواجك منه، فاستجاب لك في ضعفه لكنه فيما أتصور لم يحبك أبداً، أو لعله كان يأمل في أن تخلق المعاشرة الزوجية الحب من جانبه فلا مضت السنوات بغير أن تخلقه، وضع بسرعة النهاية غير السعيدة لقصته معك وأخرجك من حياته بأعصاب باردة، وآثر أن يهدم هو القفص الذهبي الذي وضعته فيه ليعيش حياته كما يختارها هو مع من يحبها هو، وفي ذلك قد لا ألومه كثيراً لأنه كان أميناً معك وصارحك بمشاعره.. ولم يخدعك وقد كان في مقدروه أن يستنزفك وأن يواصل حياته معك في الوقت الذي يتجه فيه بمشاعره لغيرك.. لكنه لم يفعل وهذه ميزة تحسب له رغم قسوة الأمر كله، إنني أفهمك جيداً

يا سيدتي وأقدر مشاعرك، لذلك فإني أهمس لك بأن رفض الآخرين لنا لا يعني في النهاية أننا لا نساوي شيئاً.. كما تتصورين وإنما يعني فقط أننا لم نوفق إلى من يقدرنا حق قدرنا إلى من يجد في قربنا السعادة والراحة.. وسوف نرشف رحيق السعادة حين نلتقي بمن يجد فينا واحته وسط هجير الحياة.

ولا ينقص ذلك من قدرك أبداً.. فمن تركك فلقد خسرك كما خسرته. وربما تلقي عليه الأيام درساً قاسياً يعرف منه قيمة ما خسر أما ما عانيت منه أنت فهو حال قديمة من أحوال الحب في بعض الأحيان.. أن نحب أحياناً من لا يحبوننا وأن يحبنا من لا نحبهم، والشاعر القديم يترجم هذه القضية في بيت شهير يقول فيه: جننا بليلى وهي جنت بغيرنا وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

وقمة السعادة أن يوفق الإنسان إلى من يبادله مشاعره ومن تتكامل به حياته ومشاعره، "لكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه" يا سيدتي لذلك فإني أدعوك إلى أن تطوي هذه الصفحة من حياتك بكل آلامها، وأن تبدئي حياة جديدة، وثقي أنك سوف تنسين هذه القصة بكل آلامها بعد حين، ولولا نعمة النسيان ما جف دمع ولا ابتسمت شفاه. بل لعل قدرة الإنسان على النسيان هي التي مكنته من مواصلة الحياة عبر الأجيال المتعاقبة ولقد صدق الشاعر حين قال:

وما سُمِّى الإنسانُ إلاّ لنَسِيْه ولا القَلْبُ إلاّ لأنَّه يتقلَّبُ

فاحفظي لنفسك كرامتها.. وكفي عن انتظار هذا الأمل وواصلي حياتك كما كنت قبل زواجك منه. وحاولي ألا تندفعي وراء عواطفك وحدها في المستقبل.. وأن تحكمي العقل إلى جانب العاطفة في زواجك المقبل.. وسوف توفقين إلى من يقدر سجاياك حق قدرها ومن سوف يعوضك عن هذه التجربة المريرة وينسيك آلامها بإذن الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إنسان بسيط

أنا يا سيدي إنسان بسيط في كل شيء.. في منبتي.. وفي نشأتي وفي نصيبي من الدنيا.. والحمد لله كثيراً على ذلك، فأنا ابن لإنسان بسيط يعمل شرطياً، وقد كافح وعرق لكي يربي أبناءه ويعلمهم في المدارس والمعاهد والجامعات، فتخرج شقيقي الأكبر في كلية الطب وعمل طبيباً منذ عامين، وتخرجت أنا في أحد معاهد المعلمين وعملت مدرساً بالتعليم الابتدائي، وتزوجت شقيقاتي الثلاث زيجات مناسبة بعد أن تعلمن إلى مستويات متوسطة وعالية، وقد عملت بالتدريس الابتدائي منذ عامين، وعينت في مدرسة بمدينة تبعد عن القاهرة التي أقيم فيها 60 كيلو متراً، وفرحت بذلك كثيراً وأقبلت على عملي بنشاط وبهمة.. ونظمت حياتي على أساس أن أخرج من بيتي في السادسة صباحاً فأصل إلى المدرسة في قطار قشاش يهد الحيل ثم أعود إلى بيتي في الثالثة مساء سعيداً، أما راتبي فهو واحد وأربعون جنيهاً أقبضها كل شهروأنا راضي النفس والحمد الله. والحق أني شعرت بإنسانيتي وأنا أقف في الفصل لأعلم أبناء الآخرين وأعطيهم الحب والاهتمام، وقد وفقني الله إلى إنسانة طيبة أعجبت بشخصيتها.. وأعجبت بي ثم تبادلنا المشاعر الصادقة وقررنا أن نبني حياتنا معاً، وأن نمضي رحلة الحياة معاً، فعقدنا قراننا منذ شهور، وبدأت استعد للجهاز ومتطلبات الزواج، ووجدت لزاماً عليّ أن أعمل عملاً إضافياً بعد الظهر، لأن راتب الـ 41 جنيها لن يكفي لشيء. وبحثت عن عمل في أماكن عديدة فلم أوفق ثم دلني صديق على شركة للقيام بأعمال النظافة في الهيئات والشركات الخاصة، فذهبت إلى هناك وقبلوني على الفور للعمل في الفترة المسائية براتب 45 جنيهاً، وبدأ نظام حياتى يتغير فبعد أن أعود من المدرسة أذهب إلى البيت لمدة ساعة ثم أتوجه بسرعة إلى مقر الشركة حيث أخلع ملابسي ثم أرتدي الزي الموحد لعمال النظافة في الشركة، وتحملنا السيارة إلى الموقع الذي تتولى الشركة نظافته، فننزل في شكل حملة تحمل الجرادل والمكانس الكهربائية والفوط وندخل لنقوم بكل نظافة المبنى، وأمارس علمي بإخلاص كما تعودت في كل عمل وأنا أحس بالراحة لأني أكافح لبناء حياتي ومستقبلي من خلال عمل شريف ورزق حلال، وقد تمكنت بعد ارتباطي، بالعمل كعامل نظافة بالشركة من أن أدفع سبعين جنيهاً كل شهر في جمعيات لشراء لوازم الزواج ولادخار مقدمي إيجار غرفة في الحي الشعبي الذي أعيش فيه، وتتبقى 16 جنيهاً أدفع منها تكاليف المواصلات والأشياء الصغيرة التي أحتاج إليها كل شهر.. وهذه نعمة كبيرة والحمد الله.

وفي الحقيقة فإن معي مجموعة من الشباب المكافح كلهم أولاد ناس طيبين وأخلاقهم طيبة.. وفيهم مروءة وشهامة لا أجدها في آخرين.. وكثيرون منهم موظفون في جهات وهيئات وشركات أخرى يرتدون "اليونيفورم" وتحملهم عربات الشركة إلى المواقع التي تتعاقد على توالى نظافتها يومياً، وكلهم يكافحون ليكملوا طلبات حياتهم وليجيبوا مطالب أولادهم.. ويحسون بلذة العرق من أجل الرزق الشريف لكن! وأه من لكن هذه يا صديقي كما تقول كثيراً في ردودك على

رسائل المعذبين في الأرض في بريد الجمعة.. "ولكن" الخاصة بي يكمن فيها سر عذابي... فلا شيء في عملي يضايقني.. وأنا لا أشعر بالخجل وأنا أمارسه لأنه عمل شريف، لكن ما يؤلمني هو نظرة العاملين في الموقع الذي أنظفه إليّ، وهو بالمناسبة مبنى أحد البنوك، فهم يا سيدي ينظرون إليّ نظرتهم إلى كومة القيامة التي أرفعها من بنكهم، ونظراتهم لي ولزملائي يشوبها احتقار غريب لا أعرف له سبباً، وهم ينظرون إلينا بتعال عجيب وتأفف كأننا حشرات زاحفة، ولسنا بشراً مثلهم. ومتعلمين مثلهم. وقد كدت مرة أفقد أعصابي مع إحدى موظفات البنك التي عاملتني أنا وزملائى باحتقار شديد ولحظتها كنت سأفقد هذا المورد من الزرق.. لأني كدت أصرخ فيها قائلاً: يا سيدتي أنا بشر مثلك.. لي أب مثلك وأم مثلك.. تعلمت قرأت مثلك لكن مقسم الأرزاق والحظوظ اختار لك حياتك الثرية.. فهنيئاً لك ما أنت فيه.. وشكراً له على ما أنا فيه لكن لماذا تسيئين إليّ وتجرحين مشاعري وأنا لم أسيء إليك.. ولم أتجاوز حدودي؟

وبالرغم من أنني لست ميالاً لأن أصنع من حياتي مأساة.. لاستدر الدموع.. ولا أجد في عملي.. ولا في ظروفي ما يدعوني إلى ذلك لأنني أعمل باختياري في هذا المجال لأزيد دخلي، بالرغم من ذلك فقد أحسست بالدمع يتجمع في عيوني، فتمالكت نفسي لأمنع دمعة من أن تفضح مشاعري، وانحنيت على عملي لأخفي رأسي وواصلت عملي بكل همة حتى انتهت النوبة وخلعت اليونيفورم ولبست ملابسي وعدت إلى بيتي متثاقلاً مهموماً. إنني أكتب إليك لأسألك.. لماذا نحتقر من يعمل ويكافح في عمل شريف ليبني حياته؟ ولماذا لا يحتقر المجتمع مالك العمارات النصاب الذي يسرق تحويشة العمر من الناس؟ ثم لا يسلمهم شققاً سكنية.. وإنما يدوخون وراءه في المحاكم وفى مكتب المدعي الاشتراكي، ولماذا لا يحتقر المجتمع التاجر اللص.. أو رجل الأعمال المحتال الذي يجمع ثروته من التهريب والمعاملات الاحتيالية. وهل لو دخل واحد من هؤلاء على موظفي هذا البنك هل ينظرون إليه كحشرة كما ينظرون إلينا؟

قد تسألني ولماذا لم تلجأ لزيادة دخلك عن طريق الدروس الخصوصية.. فأقول إنني أعتبر دخل الدروس الخصوصية في التعليم الابتدائي بالذات رزقاً حراماً.. بل وسرقة، لأن إخلاص المدرس في عمله في المدرسة كفيل بإنجاح التلاميذ. لذلك لم أفكر في هذه الوسيلة أبداً.. ولن أفكر فيها، لكنني قد أطلب منك أن تساعدني عن طريق قراء بابك في إيجاد علم مناسب لي بعد الظهر من الساعة الثالثة إلى التاسعة أو العاشرة مساء، وصدقني.. وصدقني إنني لا أطلب ذلك نفوراً من عملي كعامل نظافة أو احتقاراً له أو بسبب نظرة البعض له، وإنما لأن مواعيد العمل تكون أحياناً غير مناسبة حيث نتأخر فيه إلى ساعة متأخرة فأجد صعوبة في الاستيقاظ مبكراً لركوب القطار القشاش إلى مدرستي.. وأنا لا أريد أن أفقد عملي الأساسي الذي أحس فيه بشخصيتي وبنفسي.. فهل تستطيع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

صدقني أنت أيضاً يا صديقي أنك شاب جدير بكل إعجاب.. وكل احترام! فأنت تعرف شرف العمل وتؤمن به بغض النظر عن نوعه مادام شريفاً.. وأنت لا تبكي على الأطلال.. ولا تريد أن تجعل من حياتك مأساة لأنك مؤمن بأن الحياة كفاح وأن عليك أن تنبي حياتك بساعديك وحدهما.. ولأنك أيضاً تعرف أنك لست حالة خاصة وأن حياتك هي حياة الملايين من البسطاء أمثالك.. وكل ذلك يستحق الاحترام..

لقد أطلعتني رسالتك على جانب جديد من جوانب حياتنا المتلاطمة لم أكن أعرف عنه الكثير، فلم أكن أعرف أن شبابنا قد عرف الإقبال على العمل في شركات النظافة إلى هذا الحد..

ولم أكن عرف أن بين من عرفوا هذا المجال المفيد معلمين مثلك وموظفين وشباناً مكافحين ذوي مروءة وشهامة كزملائك، وما أكثر ما يتكشف لنا من أسرار عن واقع حياتنا كل يوم، والحق أنني فخور بك وبزملائك الذين تجاوزوا حاجز المظهر والشكليات وعرفوا العمل في هذا المجال النافع المهم، ولولا أني أفضل أن يكون العمل الإضافي في مجال قريب بقدر الإمكان من تخصص الإنسان.. ولولا أنك تقول لي إن مواعيده تؤثر على انتظامك في عملك الأساسي لما تحمست لنشر رسالتك هذه أملاً في أن تجد مشكلتك حلاً كريماً على أيدي من يجدون سعادتهم في حل مشاكل الآخرين والتخفيف عنهم، لكني من ناحية أخرى قد تحمست لنشرها لعلها تكون صرخة جديدة تنبه إلى خطورة استمرار أوضاع من يتحملون أمانة المسؤولية عن تربية النشء على ما هي عليه، فمن غير المعقول أن تقدم مهنة التدريس وتربية العقول والنفوس لمثلك 41 جنيهاً كل شهر. وأن تقدم له أعمال النظافة 45 جنيهاً كل شهر؟ ولأن القضية ليست في حاجة إلى مزيد فلسوف اكتفي من جانبها العام بهذه الصراخة وأعود إلى جانبها الخاص فأقول لك إن رسالتك هذه ذكرتني بصديق اعتاد أن ينظر بإعجاب إلى أفراد فرقة النظافة في مؤسسة وهم يؤدون عملهم بهمة ونشاط عقب ساعات العمل، ثم يقول بسخرية مريرة: لا تخلو من منطق لو أنصف المجتمع لأعطى هؤلاء أعلى الأجور، لأنهم الوحيدون الذين يؤدون عملاً نافعاً بحق في هيئتنا وصدقني مرة أخرى أنه لو قيست أعمال كثيرة لها مظاهرها البراقة وشكلياتها الكبيرة بمدى جديتها ونفعها للحياة وللبشر لتقدمها عملك في النظافة بكل جدارة! فضلاً بالطبع عن عملك كمدرس مخلص ينفر مما يرى فيه شبهة الحرام من مورد الدروس الخاصة!

أما سؤالك المرير عن نظرة الاحتقار، فلا تفسير لها سوى أنها علامة من علامات التخلف في مجتمع لا يؤمن كثيرون فيه بشرف العمل بقدر ما يؤمنون بشرف المال، وإذا كان للمال وحده شرف ولا يقيّم المرء فيه بعض الأحيان بما يقدمه للحياة وللمجتمع من ثمرة عمله، وإنما بحجم مكتبه وطول سيارته وبمدى قدرته على إيذاء الآخرين أو تمكينهم من النفع والانتفاع، فضلاً عن جناية هذا العصر على قيم البعض التي جعلت من المال القيمة الأولى في الحياة لديهم، لذلك فقد يحترم الطفيليين اللصوص في مجتمع كمجتمع البنك الذي تعمل به، ولا يحترم

عامل نظافة مكافح مثلك، وهذه جريمة أخرى لا تقل بشاعة عن جريمة من يعتقدون أنهم فوق مستوى الآخرين لأنهم يؤدون أعمالاً أكثر أهمية أو مظهرية من أعمال غيرهم!

أو لأنهم يملكون ما لا يملكه غيرهم. وجوهر الأديان كلها أن البشر سواسية أمام خالقهم.. فمن أنكر هذه الحقيقة فلقد أنكر جوهر الأديان جميعاً يا صديقي إنني أحييك مرة أخرى.. وأهدي قصتك لمن يعذبون أنفسهم بتطلعاتهم بغير أن تكون لديهم أدنى رغبة في الكفاح أجل تحقيق هذه التطلعات.. انتظاراً لأن تهبط عليهم الأحلام من السماء جاهزة للتنفيذ لعلهم يتعلمون منك كيف يحيا الآخرون.. وكيف يشقون لتحقيق أحلامهم الصغيرة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

خلافات زوجية

أنا قارئ دائم الاطلاع على بريد الجمعة، لعلي أجد فيه مخرجاً من الأزمة التي أعيشها، فأنا يا سيدي مدير عام بإحدى شركات القطاع العام عمري 55 سنة متزوج منذ 32 سنة، وعندي ثلاثة أبناء ابن وبنتان إحداهما معيدة بالجامعة والأخرى بشركة استثمار والثالث ضابط بالقوات المسلحة، وأزمتي بدأت منذ سنة 1953 عندما اكتشفت تفاهة عقلية المرأة التي اخترتها ففضلاً عن إهمالها الشنيع لكل ما له قيمة، وإن كنت لا أنكر أنها امرأة شريفة رغماً عن ذلك، لكنها يا سيدي مصدر نكد مستمر في حياتي. وقد ظلت منذ عام 53 حتى تاريخه لا ينقضي شهر دون أن تثير مشكلة تنغص عليّ حياتي، وهي دائمة الشكوى من أني أساعد والدتي بمبلغ من المال كل شهر. وبعد دخول التليفزيون أصبح مصدراً من مصادر متاعبي فهي عندما ترى المذيعة ترتدي فستاناً جميلاً تريد مثله مع إهمالها الواضح في نظافة المنزل بحجة أنها تريد شغالة تساعدها.. وتعلم سيادتك صعوبة ذلك، وأخيراً عندما كبر الأبناء وعملوا وأصبحت لهم مرتبات وبدأوا يعطونها بعضاً من المال لنفسها تنمرت وبدأت تثير المشاكل وترفض إطاعة مطالبي ودائماً لا تعجبها الحياة التي أعيشها تريد "عربية" تتفسح بها وتتهمني بأني بخيل بالبرغم من أن منزلي دائماً عامر بكل أنواع اللحوم والفراخ وخلافه، وقد بدأت الشكوى للأبناء بغية ضمهم لصفها، ونظراً لأن البنتين تتركان أولادهما عندها قبل الذهاب للعمل فهما تدافعان عنها، وهي بالطبع تعطي كل اهتمامها لأطفال البنتين. تاركة البيت يضرب يقلب؟ وعندما أزعق لها تقول لي إنها لا تستطيع أن تصنع أكثر مما تفعل، وإن كان مش عاجبك سيب الشقة ومع السلامة! ونظراً لأن عمرها 48 سنة وعندها ربو شعبي مزمن - ولأن البنتين متزوجتان.. فأنا أكتم غيظي وأسكت، وقد هددتها بأني سأضطر لطلاقها لأن المفروض أن أستريح لمنزلي عند عودتي من العمل في الرابعة مساء، وأن مهمتها الوحيدة هل أن تعمل على راحتي خصوصاً وأني أعطيها عشرة جنيهات أسبوعياً كمصروف يد بغية إرضائها.. ولم أفلح رغم ذلك في إقناعها وكثيراً ما تطلب الطلاق وأقول لها عيب أنت أصبحت جدة لكن ما من مجيب.. وقد أفهمتها أنها ليست حاضنة وأنه في حالة الطلاق ليس لها عندي سوى نفقة سنة، بلا فائدة.. ويظهر أنها تخطط لإخراجي من الشقة والاستيلاء عليها، ومن كثرة شجارها معي كنت أضطر إلى طردها وإرسالها إلى أهلها لتبقى عندهم فكانوا يعيدونها ويتعهدون بأنها ستكون "كويسة"، وتسكت هي حتى ينصرفوا ثم تبدأ في إعادة المشاكل وعدم القناعة بحالي وحالنا معاً فما رأيك في أن توجه إليها كلمة في بريد الجمعة.. لأنها من قارئاتك.. فربما يهديها الله لو قرأتها.. وحبذا لو كان رأيك يسهم في تحقيق بعض الراحة لي ولأمثالي خصوصاً حين تعلم هي ومثيلاتها أنهن لن يكون لهن حق الاحتفاظ بالشقة بعد الطلاق لأنهن لسن حاضنات والله يوفقك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

وهل تصلح بضع كلمات في إصلاح ما فشلت المعاشرة والروابط العديدة بينكما في إصلاحه؟ بالطبع لا، فلا قيمة للكلمات في مثل هذه الحال.. ولا قيمة أيضاً للتخويف بأن الشقة ليست من حق الزوجة غير الحاضنة كما تقول.. ولا قيمة لأي شيء فالحب لا يغرس بدافع الخوف.. ولا بدافع الحاجة وحسن المعاشرة التي فشلتها طوال 32 سنة من الزواج وحتى تاريخه، في الوصول إليها، لن تنجح بضع كلمات مني أو منك في تيسير السبيل إليها.. ومن المؤسف حقاً أن يجد الإنسان نفسه وهو في سن الحكمة والنضج في مثل هذا الموقف المهبب الذي يتعرض فيه لانتقاد الأبناء أو لرفضهم بسبب "خلافات زوجية".

إنني أقدر بالطبع ظروف كل إنسان يواجه مثل هذه المتاعب. لكنى أتصور أن هناك مقدمات خاطئة كثيرة يرتكبها البعض في زواجهم.. تثمر في أخريات العمر مثل هذه العواصف التي لا يتحملها زجاج عش الزوجية في خريف العمر.. ومن أولى هذه المقدمات أن كثيراً من هذه البيوت لم تعرف دفء الحب الحقيقي طوال عمرها وحتى تاريخه..، وأن كثيراً منها قد بُني على أسس ومعتقدات خاطئة كاعتقادك مثلاً أن مهمة زوجتك الوحيدة هي العمل على راحتك.. وتعجبك من أنها لا تقوم عليها رغم أنك تعطيها عشرة جنيهات كل أسبوع . كما لو كانت أجيرة ينبغي أن تبذل بقدر ما تأخذ! إنني لا ألومك وحدك.. فلا شك أنها مخطئة أيضاً في عدم رضائها عن حياتها بعد هذا العمر الطويل، وفي انصرافها عنك إلى رعاية أحفادها.. وفي تسطلها الدائم.. وفي طلبها للطلاق كل حين.. الحقيقة أنني أتعجب حين اقرأ رسائل زوجات وأزواج تصور لي حياتهم الزوجية كأنها رحلة آلام استمرت طوال العمر يا إلهي! إذا كان الأمر كذلك فلماذا احتملوها كل هذه السنين! وإذا كانوا قد احتملوها فلماذا يشكون منها الآن؟ وما غاية الحياة إن لم تكن السعادة والرضاء.. والسكن إلى شريك يخفف عن المرء هجير الحياة في شيخوخته.. ووحدته بعد انصراف الأبناء إلى حياتهم؟ ألا تغضب مني إذا قلت لك إن بعض أسباب عدم توفيقك مع زوجتك هو عدم اقتناعك بشخصيتها بعد كل هذه الرحلة الطويلة.. وهذه جريمة في حد ذاتها أن يمضي الإنسان عمره مع شريكة لم يقتنع بها بعد!.. ولا أعرف متى يقتنع بها.. وهل يأتي هذا اليوم في الحياة الدنيا.. أم في الآخرة، وقد رجح لدي هذا الاعتقاد أنك بعد 32 سنة تحدثني عن تفاهة تفكيرها التي اكتشفتها عام 1953! فإذا كانت هي غير راضية عن حياتها معك.. فأنت أيضا غير مقتنع بها. وكلاكما مخطئ في حق الآخر.. وكلاكما يستحق اللوم.. وعيب كده والسلام!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

النداء الصامت

سيدي.. كنت أتمنى أن أكون من قرائك فقط.. لكن شاءت الأقدار أن أكون مشكلة من مشاكلك.. وهكذا الحياة فقد تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن! أنا أم لفتاة في العشرين وابن في الثامنة عشرة. كنا نحيا حياة عادية يرفرف على أسرتنا الصغيرة الحب والتعاطف تحت راية رب الأسرة العطوف، الأبناء يدرسون في مدارس اللغات وأنا وزوجي نتقاسم المصروفات - ونتقاسم كل شيء في حياتنا، ثم شاءت الأقدار منذ 4 سنوات أن يمرض زوجي الذي كان يملأ الدنيا حياة وحركة، وأن يرقد فاقد القدرة على الحركة في المستشفى وأن يسيطر الشلل على كل جزء من جسمه حتى لسانه، ودعتني نظراته الصامتة لأن أبقى إلى جواره بالمستشفى، فحسم نداؤه ترددي بين احتياجه لى.. واحتياج ابنتي وابني لي، خصوصاً وهما في السن الحرجة، فحزمت أمري وبقيت إلى جواره أمرضه وأرعاه خمسة شهور كاملة، كنت خلالها ممزقة بين زوجي ورب أسرتي الذي يضيع من يدي وبين أبنائي الذين يضيعون من يدي في هذه السن الخطرة، لكني كنت مؤمنة بضرورة وجودي إلى جانب زوجي الذي كان يحتاج إليّ أشد الاحتياج، وعانيت هذا الصراع لمدة خمسة شهور إلى أن أسلم زوجي الراحل الروح النداء الصامت وهو على صدري، فعدت إلى بيتي محطمة.. لأواجه كارثة أشد هولاً من كارثة فقدي لزوجي: وهي أن الأبناء قد تعودوا الحياة بغير رقيب وهم في هذه السن الحرجة.. فلا هم أطفال يمكن تطويعهم.. ولا هم كبار يستطيعون الإدراك والمساندة وتقدير معاناتي وخوفي عليهما ومواجهتي للحياة من أجلهما.. واخترت أن أبقى في البيت بلا عمل لرعايتهم مع قلة الدخل خوفاً عليهم من الضياع وليستطيعوا مواصلة التعليم، واستعضت عن الوظيفة بماكينة تريكو أعمل عليها في البيت وأحقق دخلاً للأسرة يكفي بالكاد لمتطلبات الحياة الأساسية وكانت كل سنة دراسية تمضي كأن حجراً ثقيلاً قد انزاح عن صدري والبنت تمضي بنجاح وتفوق، أما الابن فيتحرك بمعاناة شديدة وهذه هي مشكلتي، فلقد اكشتفت أنه يتعاطى الحبوب المخدرة مع أصدقاء السوء فكدت أصاب بالشلل، ثم جاهدت معه وأخذته لزيارة الطبيب وبذلت كل ما أستطيع لعلاجه، وبعد ذلك علمت أنه يدخن السجائر، ثم الحشيش ثم يشرب الخمر، وقد تم كل ذلك ووضعت بذوره في الفترة التي مرض فيها والده وهو في الرابعة عشرة من عمره، والتي تمتع خلالها بحرية كاملة بغير رقابة وأنا سجينة المستشفى مع أبيه.

وقد تسألني من أين يحصل على ما يلبي هذه الرغبات، فأقول لك من كل ما تقع عليه يده.. مع أصدقاء السوء، وليس له رادع لأنه يستعمل قوته كشاب عمره 18 سنة في الحصول على ما يريد، والنتيجة هي فشله في الثانوية العامة بعد كل المصاريف والديون المتراكمة وأصبحت أواجه الحياة بإحباط شديد..، لقد عملت ليل نهار واستدنت.. بل والله العظيم تسولت من الأهل والأقارب لكي أوفر له مصاريف الدروس الخصوصية، لكن كل ذلك راح في الهواء.. ووقفت عاجزة في منتصف الطريق وليس بجواري أحد سوى ابنتي، إني أطلب منك النصيحة.. هل

أواصل الكفاح معه مرة أخرى لعام جديد للحصول على الثانوية العامة.. وهل يجدي ذلك معه. ولو حدث.. فمن أين أحصل له على ما يحتاج إليه خلال عام دراسي طويل طويل كليل المعذبين؟ إننى أريد رأيك بصراحة.. هل أنا أم غير صالحة؟ وهل كل من يفقد رب الأسرة يتدهور إلى هذه الحال، لا تؤاخذني فقد أصبحت مشوشة التفكير وفي حاجة إلى من أبثه معاناتي وأنا أجد أولادي يضيعون من يدي.. وأتساءل أحياناً هل كنت أستطيع أن أتجاهل نظرات زوجي المشلول التي تطالبني بالبقاء إلى جواره، لكيلا يضيع أبنائي.. وهل يا ترى لو فعلت كنت سأنجو من عذاب الضمير إلى نهاية العمر.. وهل يجدي العمل في حل مشكلة ابني.. ولو كان كذلك فأين يمكن أن نجده ونحن نطرق الأبواب كل يوم بلا فائدة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

لا يا سيدتي لست أماً غير صالحة كما تتصورين لكنك أم تعسة امتحنتها الأقدار بفقد الزوج.. وتعرض الابن لنزوات الشباب في هذه السن الحرجة. وعلى العكس من ذلك فإني أرى في تصرفك واختيارك الاستجابة إلى النداء الصامت الصارد عن زوجك وهو في محنته، وفاء يستحق التقدير.. وإحساسًا بالواجب يستحق كل تحية فلقد واجهت الاختيار الصعب.. واخترت ما أملاه عليك ضميرك وواجبك، ولست أميل إلى أن أرجع إلى فترة الشهور الخمسة التي أمضيتها في المستشفى كل أسباب الانحراف الذي انجرف إليه ابنك وإن كانت عاملاً مساعداً عليه، فالأغلب أن الظروف المحيطة به من رفقاء سوء.. وانتشار الحبوب المخدرة إلخ قد أسهمت في هذا التدهور بقسط أكبر، كما أسهم غياب المرشد والرقيب بعد وفاة الأب في التمادي فيه، ومع ذلك فليس من الضروري أن ينحرف كل ابن فقد أباه في هذه السن الخطيرة، فما أكثر الأمهات اللاتي يقمن بدور الأب والأم في وقت واحد.. وما أكثر الأبناء الذين ينمو لديهم الإحساس بالواجب الأسري عقب وفاة الأب، وما أكثر من تحركهم فطرة سليمة و وازع ديني راسخ للالتزام بالفضائل.. في أشد سنوات العمر خطورة وإن كان ذلك لا يقلل أبداً من خطورة دور الأب في رعاية ابنه الصغير في هذه السن الحرجة إلى أن يشتد عوده ويصمد للرياح.

أنت أم صالحة بالتأكيد بدليل وفائك لزوجك وتضحيتك بالعمل من أجل أبنائك.. لكني أتصور رغم ذلك أنك كنت شديدة العطف على أبنائك بعد فقد الأب.. وأن هذا العطف قد تحول غالباً إلى ضعف تجاه ابنك ساعده على التمادي فيما انجرف إليه، والمحنة الحقيقية إننا نفقد سيطرتنا على أبنائنا في أشد الأوقات التي يحتاجون فيها إلى رعايتنا وحمايتنا لهم من الأدواء المحيطة فلا يبقى لنا سوى النصح والتوجيه عن بعد والإرشاد فإن استجابوا فلخيرهم.. وإن أصموا الآذان عنه فلتعاستنا وعذابنا إلى آخر العمر.. وهذه هي المحنة الحقيقية، وإن كنا في النهاية مهما فعلنا لا نهدي من أحببنا لكن الله يهدي من يشاء، كل ما نستطيعه في هذا

الشأن هو أن نؤدي واجبنا تجاههم كما أمرنا به، وأن نبذل غاية جهدنا لمساعدتهم على بناء حياتهم ومستقبلهم..، وليفعل الله بهم وبنا ما يشاء بعد ذلك، ولهذا فإني أنصحك بأن تواصلي معه مشوار الكفاح رغم عثرته الأخيرة وأن تستجمعي إرادتك وطاقاتك لتقفي وراءه خلال عام دراسي جديد..

لكيلا يهدر سنوات تعليمه الماضية بلا فائدة، ولعله يفيق من غيِّه.. ويدرك كم يتعذب الآخرون بسبب استهتاره.. وانشغاله بنفسه وبأهوائه. أما العمل فقد أستطيع معاونتك في إيجاد فرصة عمل له إذا أثبت أنه جاد في الرغبة في الاعتماد على نفسه وفى مواصلة تعليمه بنجاح.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حد السيف

بعد تردد استمر ثلاثة أشهر قررت أن أكتب إليك لأسألك عن رأيك في مشكلتي.

أنا يا سيدي شاب في الثانية والعشرين من أسرة ثرية تمتلك فيلا في القاهرة وأخرى في الإسكندرية ولدينا سيارات وشغالات وخلافه، كنا نقضي الصيف في الإسكندرية منذ 7 سنوات عندما ركبت مع شقيقي سيارته لنسافر إلى القاهرة لأعرف نتيجة امتحاني في الشهادة الإعدادية، وفي الطريق انقلبت السيارة المسرعة بنا عدة مرات وأصبنا إصابات مختلفة. فأصيب شقيقي برضوض خفيفة.. وأصبت أنا لسوء حظي في العمود الفقري.. ولا أريد أن أدخل في التفاصيل المؤلمة.. وسأعبرها لأقول لك إني منذ ذلك اليوم وأنا حبيس المقعد المتحرك.. ولن أصف لك الصدمة التي أصبت بها وأنا أجد نفسي جسماً عاجزاً عن الحركة.. ولا عن الصدمة التي هزت أسرتي السعيدة حتى ذلك الحين لكن هذا ما حدث.. وهذه هي إرادة الله ولا راد للقضائه وعلى أية حال فلقد كنت أحسن حالاً من غيري ممن اختار لهم القدر هذا المصير. فلقد جهز لي أبي الفيلا بمصاعد تحملني إلى أدوارها وخصص لي سيارة وسائقها للذهاب إلى المدرسة كل يوم وسارت حياتي إلى أن التحقت بالجامعة وكانت فترة أكثر كآبة في بدايتها إذ كان على السائق بمساعدة أحد السعاة أن يحملني كل يوم أمام زملائي في الجامعة ووسط نظرات الشفقة من كل جانب، وكان عليّ أن أتفادى نظرات الآخرين، وأن أخفض رأسي لكي لا أرى أحداً وأنا محمول بهذه الطريقة لكي أتناسى وجود الآخرين. ومضت أيامي الأولى في الجامعة على هذا النحو.. إلى أن برزت وسط هذه النظرات المشفقة عينان أحسست لأول وهلة رأيتهما فيها أنهما لا تحملان لي الشفقة، إنما شيئاً آخر لا أعرفه على وجه التحديد. وشدتني هاتان العينان إلى صاحبتها.. ووجدت نفسي لأول مرة على استعداد لأن أتقبل صداقة جديدة منذ تغير مجرى حياتي.. وأعجبني فيها أنها لم تشعرني أنها تعرفني إشفاقاً عليّ وإنما ارتياحاً إليّ فارتحت إليها أنا أيضاً وازداد ارتباط كل منا بالآخر.. وحدث بعد ذلك أن تغيبت فترة عن الكلية ففوجئت بها تزورني في البيت مصطحبة شقيقها الأصغر وحاملة معها كراسات المحاضرات التي فاتتني، حاولت أن أقاوم مشاعري تجاهها.. ولكن الوقت كان قد فات، ومع نهاية العام الدراسي كنا قد تأكدنا أننا قد ارتبطنا برباط لا ينفصم، لكني مع ذلك واقف مع نفسي لأراجعها.. وقررت في النهاية أن أصارحها بحقيقة حالتي ومن خلال دموعي قلت لها كل شيء.. قلت لها إني جسد بلا روح وأنني عاجز عن الزواج، وامتنعت عن مقابلتها وعن الذهاب إلى الكلية.. وعشت أياماً سوداء.. لا أذوق النوم.. ولا الراحة ولا أغادر البيت وكلما لاحت صورتها في مخيلتي أبعدتها بعنف لكي لا أضعف. ويبدو أن المعاناة النفسية التي عانيتها كانت شديدة لأنني رحت ذات يوم في غيبوبة أفقت منها فوجدت نفسي طريح الفراش في المستشفى، ووجدتها بجوار سريري ومعها أمي، ووجدتها تؤكد لي أنها تحبني وأنها ترغب بصدق في أن تتزوجني وتقسم لي أنني إذا لم أتزوجها فلن تتزوج غيري. وبكت وبكيت معها وبكت أمي،

وبدأت أفكر في الارتباط بها، لكن إخوتي عارضوا فكرة زواجي منها.. وقال لي أخي الأكبر إنها لا تريد من ورائي سوى المال، وأنها بعد أن تحصل على ما تريد سوف تتركني وتخلف لي الحسرة والندم. وسأل عنها زوج شقيقتي وجاء يقول لي إن حالتها المالية جيدة وأنها ابنة أحد المديرين، فعاد أخي الأكبر يقول لي إنها ربما ترغب في الزواج مني لتخفي آثار خطأ ارتكبته.. فتأزمت نفسياً وامتنعت عن مقابلتها ثم قابلتها من جديد وصارحتها بشكوك أخي فيها فبكت وقالت لي من بين دموعها إنها على أتم استعداد للخضوع لأي فحص طبي يؤكد زيف هذه الفكرة.

احترت يا سيدي واحتار دليلي.. فأنا أحبها وهي تحبني وتجمعنا رابطة روحية غريبة.. فكلانا يشعر بالآخر على بعد كيلو مترات.. وكلانا يفكر في نفس الأشياء في نفس الوقت.. ونحب نفس الأشخاص ونكره نفس الأشخاص.. ونحب نفس الألوان ونكره نفس الألوان.

إنني أريد أن أسألك سؤالا يحيرني ويقض مضجعي هو: هل يوجد على ظهر الأرض من يقبل أن يغرر بإنسان عاجز من أجل المال وهل الحب المجرد من أي رغبة موجود وهل لي الحق في الحب والزواج؟

إننا لم نستقر على قرار حتى الآن.. وهي سوف تواجه كل أسرتها من أجلي وستقف أمام معارضتهم لزواجها مني، وأنا سوف أواجه معارضة إخوتي من أجلها.. وأريدك أن تساعدني بالرأي في اتخاذ قراري فأسرع لأنني يجب أن أحدد موقفي قبل بداية العام الدراسي وهو آخر أعوامي في الجامعة.. إنني حائر يا سيدي.. فأنقذني.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

وأنا أكثر حيرة منك يا صديقي.. وأصارحك أنني لا أستطيع أن أجزم برأي قاطع في مشكلتك إلا لو حكمت المنطق القاسي البارد وحده، وأعترف لك أنني لا أريد في البداية أن أحكم المنطق وحده في قصتك متناسياً كل الاعتبارات الأخرى فمن قال إن الحياة يحكمها المنطق وحده؟ ألسنا نرى في الحياة زيجات توافرت لها كل مقاييس النجاح حسب القواعد المنطقية الدقيقة، مع ذلك فشت وتجرع أصحابها كأس التعاسة حتى الثمالة؟ أو ألسنا نرى في الحياة زيجات حكم عليها أصحاب العقول منذ البداية بالفشل لأنها ضد كل منطق وضد كل المقاييس، ومع ذلك فلقد نجحت وأثمرت وأزهرت زهور السعادة المعطرة.

ماذا تقول في ذلك؟ وماذا يمكن أن يقول المنطق البارد عنها؟ إن السعادة يا صديقي هبة من عند الله يأتيها من يشاء فلم لا تكون السعادة تعويضاً لك عما امتحنتك به الحياة؟

لقد ذكرتني رسالته بقصة أمريكية قديمة قرأتها منذ زمن طويل، كانت الأسرة فيها مشحونة بالاستعداد لزفاف ابنتها وجاء شقيقها الأكبر من مدينته البعيدة مع

زوجته الجميلة التي تزوجها.. منذ شهور بعد حب عنيف. ولاحظ الأب أن ابنه مهموم بشيء لا يعرفه.. وعرف أنه على خلاف مع زوجته ويرغب في طلاقها. ولم يجد في غمار الاستعداد للزفاف فرصة لمناقشته إلا خلال حفل الزواج الراقص. فانتحى به جانباً ثم سأله لماذا تريد أن تطلق زوجتك؟ فأجاب الابن لأنني لست سعيداً يا أبي فنظر إليه الأب نظرة طويلة حانقة ثم قال له بحنق: ومن هو السعيد يا ولدي؟ هل كل هؤلاء الأزواج الذين يراقصون زوجاتهم حولنا سعداء؟ هل كل هؤلاء الزوجات سعيدات؟ هل ترى هذين الزوجين أنها منفصلان من 3 أعوام لكنهما يرعيان أطفالهما ويلبيان الدعوات الاجتماعية معا.. وهل ترى هذين الزوجين لا يخاطب أحدهما الآخر منذ 4 سنوات إلا أمام الآخرين في الحفلات العامة والدعوات؟ وهل ترى.. وهل ترى.. ولماذا نذهب بعيداً إنني متزوج من أمك منذ 25 عاماً فهل يعني ذلك بالضرورة أنني سعيد؟ إن هناك أشياء عديدة تربطنا معا.. ونتشارك فيها معاً، أما السعادة الحقيقية فهذا شيء آخر ولو طلق كل زوج زوجته لأنه لا يشعر معها بالسعادة كما يتصور لخلت بيوت عديدة في سكانها.. فاعقل يا بني.. ولا تهدم بيتك بيديك؟ ولا أعرف بالتحديد لماذا ذكرتني رسالتك بهذه القصة.. هل لأنها تقول إن السعادة مطلب عزيز المنال، وأن الإنسان لا يستطيع إلا أن يحكم على المظهر الخارجي للآخرين؟ أم لأنها تقول إن هناك أشياء صغيرة عديدة يمكن أن تجمع بين الناس.. لو خلت حياتهم من السعادة لا أعرف على وجه التحديد لكني أقول لك يا صديقي إن كل شيء محتمل.. وأن السعادة ليست مقصورة على الأصحاء.. ولا على الزيجات التي تتوافر فيها المقاييس المنطقية السليمة.

فاستفت قلبك وحده واستفت قلبها فإن أفتاك بصدق حاجتك إليها، وصدق حاجتها إليك وارتباطكما معاً فربما غيرتما المألوف وعشتما حياة سعيدة هنية، أما إن فشلت التجربة بعد حين واكتشفت هي أنها لا تستطيع أن تواصل الرحلة معك إلى النهاية فلقد فزت من العمر بزمن من السعادة لا يقدر بكنوز الدنيا، وخرجت من التجربة بأقل قدر من الخسائر.. وكذلك هي ولا يحكم على القلوب إلا خالقها، إنني أعرف أن رأيي هذا لن يرضي أصحاب المنطق العقلاني المجرد، لكني لا أستطيع أن أطالبك بأن ترفض أي شعاع للأمل يتسلل إلى حياتك ولو فعلت لما أعفيت نفسي من اللوم.. مع كل احترام للعقل والمنطق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هموم شخصية

أعتذر في البداية لأنني سأشغل هذه المساحة بهم شخصي ربما كان هناك ما هو أهم منه لكني مضطر لذلك. وأبدأ فأقول -لك.. إنني مدرس مساعد بإحدى الجامعات الشهيرة، عمري أقل من الثلاثين، وأنتمي إلى أسرة من الطبقة المتوسطة عائلها مدير بإحدى شركات القطاع العام، أي موظف في النهاية بكل ما تحمله هذه الكلمة من دلالات، في هذه الأيام وقد عشت حياة جادة ولم يكن في حياتي فور انتهاء سن الطفولة أية مساحة للتفاهة، فبعد حصولي على الشهادة الثانوية والتحاقي بالجامعة قلت لوالدي الآن قد انتهى دورك في الإنفاق عليّ وأرجو أن تخفف عن نفسك عبء مئونتي وأن تنفقه على نفسك وعلى إخوتي الصغار، ودخلت ميدان الحياة الواسع فكنت أعمل إلى جانب الدراسة وأكسب نفقات تعليمي وثمن كتبي وملابسي، وكانت سنوات الجامعة حافلة بالنسبة لي فشاركت في الحياة العامة ونالني ما نال المعارضين خلال سنوات السبعينيات من مضايقات ومطاردات وتعرضت لخطر الرصاص في مظاهرات الطعام سنة 77، ورغم كل ذلك فقد كنت متفوقا في دراستى وأنهيتها بنجاح وتفوق والتحقت بالعمل في هيئة التدريس ويتوقع لى أساتذتي مستقبلاً مشرقاً واستعد الآن للسفر للحصول على الدكتوراه من الخارج ولم يمنعني تخصصي العلمي من الاطلاع على جميع المعارف فقرأت في العلوم والآداب والثقافات.. ونقلت عدوى القراءة إلى إخوتي وجيراني وأصدقائي وطلبتي في الجامعة، ولم أندم على ما تلتهمه الكتب من أغلب دخلي ووقتي.. فالحياة بلا معرفة ظلام وجهل، هذا عن حياتي العلمية أما عن حياتي الاجتماعية فإني أستطيع أن أقول بلا مبالغة إنني من أكثر الناس صداقة وحباً للناس.. ومن أكثرهم أيضاً وداً من جانب الآخرين فطلبتي وأصدقائي وأهلي يحبونني والحمد الله وأبادلهم حباً بحب..

ومؤكد بعد ذلك أنك تنتظر مني أن أقول مشكلتي.. وفي ذلك لك حق فكل ما ذكرته لك لا يحمل أية مشكلة.. بل ربما كان صورة مشرفة لحياة شاب ناجح ومكافح.. لكنني رغم كل ذلك أواجه فعلاً مشكلة بسيطة جداً وخطيرة جداً وليس في الحياة ما هو أخطر منها.. هي أنني أعاني الخوف من الموت..

إنني أرجو ألا تتسرع في حكمك عليّ.. أو تفقد اهتمامك بهذه الرسالة بعد أن تبينت أنها تتحدث عن مشكلة فلسفية هي الموت، فأنا لا أعاني من مشكلة فلسفية، وإنما أعاني من شعور طاغٍ يطاردني بقوة واقتحم كياني من زمن بعيد يؤكد لي أنني سوف أموت عندما أبلغ الثلاثين ورغم إيماني الشديد وتديني العميق ورغم أني معاف صحيا، فإن هذه الشعور قد سيطر عليّ منذ طفولتي حتى أنني أنهيت بسببه تجربة عاطفية كنت قد اخترت شريكة الحياة بها ولإيماني الغريب بقرب الرحيل، ربما تقول لي إن هذا الشعور وهم أو أنه هاجس ليس له ما يبرره خاصة مع احتكامي الدائم للعقل في أغلب أموري، لكن هذا الإحساس سحقني تماماً وأصبحت حياتي حواراً متصلاً مع الموت، لذلك فإنني أرجو ألا تسخر مني لأن الأيام سوف تثبت لك صدق ما أقول، فلقد أوصيت أحدهم بأن يبلغك

نهايتي عند رحيلي، ومعذرة لإثقالي عليك بهمومي الشخصية وأدعك لتواصل اهتمامك بهموم الآخرين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

لن أسخر منك يا صديقي، ولن أرثي لك لسبب بسيط هو أنه أمام لغز الموت يستوي الجاهل والعالم في أن الجميع لا يعرفون متى؟.. ولا كيف.. ولا بأي أرض يكون؟ ولقد تصورت أن إيمانك وتدينك، كافيان للتسليم بذلك ولبناء حياتك على أساس النظرية الإيمانية التي تقول اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً. لكنك على العكس من ذلك يا صديقي، "جزمت" بأنك سوف ترحل عن دنيانا في سن الثلاثين ورتبت حياتك على هذا الأساس، حتى لقد هدمت قصة ارتباط في بدايتها اقتناعاً بهذا الهاجس الغريب.. ولا أعرف من أين جئت بهذا اليقين. ولا من الذي أطلعك على عالم الغيب لتعرف ما لا يعرفه إلا هو جلّ شأنه وهذا موضوع لا يجوز أن يطول فيه الحديث.. لأنه غير قابل للجدل، وعلى أن الخوف من الموت.. إحساس أزلي قديم وهو إحساس إنساني طبيعي إذا لم يتجاوز حدود المنطق.. وإذا كان دافعاً للإنسان على ألا يظلم غيره، وألا يتشبث بباطل اعتقاداً منه أنه مخلد، أو يتمادى في الإضرار بالآخرين تصوراً منه أنه يملك دنياه إلى الأبد.. لكن معايشة هذا الإحساس بصفة مستمرة.. والمغالاة فيه إلى الحد الذي يسيطر معه على حياة الإنسان أو يشل حركته ومشروعاته فإنه يعكس غالباً حالة مرضية نفسية، كما يعكس بالتأكيد ضعفاً يعتور إيمان الإنسان وتسليمه لإرادة الخالق، وفي حالات أخرى قد يكون صورة من صور نرجسية البعض وعشقهم المفرط لذواتهم إلى الهلع عليها من فكرة الموت، كما لو كانت ذوات لا تخضع لما يخضع له باقي البشر منذ الأزل من قوانين الحياة والموت، وفي بعض الحالات المرضية فإن هذا الإحساس قد يرجع إلى أفكار خاطئة مترسبة في العقل الباطن لا يعيها الشخص لكنه يعاني آثارها في حياته، وفي حالتك بالذات فربما تعاني من الوسواس القهري الذي يلح على الإنسان بصفة دائمة بخاطر مزعج يفسد عليه حياته.. وهو مرض نفسي معروف قابل للعلاج، وأنصحك عموماً باستشارة محلل نفسي يغوص معك في أعماق طفولتك ليفتش فيها عن السبب الذي يربط في عقلك الباطن بين سن الثلاثين ونهاية الحياة، ومن الممكن جداً أن يكون هذا السبب هو ذكرى قديمة نسيتها تماماً لوفاة شخص عزيز عليك في سن الثلاثين، وتأثرت جدا بوفاته خلال طفولتك فترسب في عقلك الباطن بغير أن تشعر أن سن الثلاثين هي نهاية الحياة، إنني لا أدعي معرفة بعلم التحليل النفسي لكني أضع بعض الصور التي يمكن أن تضيء الطريق أمامك إلى العلاج، والمهم هو أن تقتنع أنك في حاجة إلى العلاج، وألا تخجل من طلبه، فالكارثة أننا مازلنا نخجل من العلاج النفسي ونعتبره ترفاً لا يطمح إليه المكافحون.. أو عملاً ينبغي ألا يعرفه عنّا الآخرون، وفي العادة لا نسلم بحاجتنا إليه إلا بعد أن نكون قد تجاوزنا مرحلة الخطر.. ولم يعد يجدي معنا طب نفسي ولا علاج نفسي، أما الكارثة

الأخرى فهي "وصيتك" بإبلاغي نبأ الرحيل وفي ذلك.. اعذرني إذا ضحكت ولا تسلني لماذا لأني سبق أن كتبت "أسبابي" في ذلك منذ ثلاثة أسابيع.. ولا أريد أن أكررها.. لكيلا أزعج القراء بحديث معاد عن الحقائق الثابتة التي لا تقبل الجدل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حاجز الصمت

لا أكتب إليك وأنا آمل أن أعيد عجلة الزمن إلى الوراء عشرين سنة، لكي يزول عنها الصدأ المتراكم على عاطفة فياضة، وإنما أكتب إليك وبعد أن أصبح لي أبناء وبنات في سن الشباب في أشد الحاجة إلى النصيحة، وأجدني أقف حائرة أمامهم بماذا أنصحهم؟ هل أنصح بناتي بأن يعشن حياتهن كما عشتها أنا بدون عاطفة، يؤدين واجباتهن ويعطين فقط حتى لا تتعرض حياتهن لأية عواصف قد تهدمها، أم أنصح ابني بأن يعامل زوجته في المستقبل كإنسانة لها قلب ينبض قبل أن تكون زوجة عليها واجبات؟ وإلى أن أعرف رأيك في ذلك سأقص عليك ما لم أقصه على أحد من قبل، وهو الذي أثار تساؤلاتي فأنا سيدة في الخامسة والأربعين وزوجي في مثل عمري تقريباً، وقد تزوجنا منذ عشرين سنة.. وكنا وقتها نعمل برواتب بسيطة وتعاهدنا على أن نتعاون في البيت وخارجه، وأن نكون أسرة مثالية متراحمة متعاطفة، ومضت الأيام بعد الزواج فجاء الأبناء وترقينا في وظائفنا.. وكبرت رواتبنا، ثم أفقت ذات يوم لأجد حياتي معه وقد شهدت تغيرات عجيبة ظهرت تدريجياً مع مر السنين، فلم ألتفت إليها إلا بعد أن بلغت أقصى تحولها... أفقت يا سيدي فوجدت نفسي ومنذ سنوات بعيدة. لا أعيش مع زوجي الحبيب الذي كنت أتمنى أن أعيش العمر كله معه، وإنما أعيش مع وكيل وزارة مثلاً يمتلئ مكتبه بالأزرار وأنا ساعيه الذي يقف إلى جوار الباب.. إذا أراد منه شيئاً أشار بيده بغير حاجة إلى الكلام.. فيجري لإحضاره وما حاجته إلى الكلام معي؟ مادام كل شيء يمكن أن يجري بالإشارة؟ يرفع يده فأحضر الطعام. يهز رأسه فأحضر الملابس المكوية.. وليس لي الحق في التهاون في تلبية مطالبه لتعب أو لإجهاد أو لانشغالي في مشاكل البيت، وليس لي الحق في الارتفاع إلى مستواه ومناقشته والجلوس بجانبه. أما فيما عدا ذلك فليس بيننا سوى جدار من الصمت الثقيل.. فإذا حاولت أن أشركه معي مثلاً في مشاكل البيت، ورويت له أن سعر الشيء الفلاني قد ارتفع وسعر الشيء الفلاني قد زاد، فإنه لا يعلق على ما أقول سوى بالصمت الثقيل.. لكنه بعد فترة قد يزيد المصروف الذي يعطيني إياه بضعة جنيهات، وليس هذا ما كنت أريده.. وإنما كنت أريد أن يشاركني بالرأي أو النصيحة أو حتى بالكلمات لمجرد التسلية، وإذا شكوت له من تصرف أحد أبنائه لا يعلق على ما أقول، وإذا كررت الشكوى مرة أخرى بعد فترة لا يرد وإنما يقوم وبدون مناقشة ويسحب ابنه إلى غرفة ويغلق الباب عليهما ثم ينهال عليه ضرباً. وإذا جمعتنا جلسة المساء مثلاً أنا وهو وأبناؤنا فإنه لا يتكلم أبداً ولا يعلق على شيء، ولو كان حادثة يتحدث عنها المجتمع والصحافة، وكل الناس، وإذا سألناه عن شيء أجاب متضرراً بأقل عدد ممكن من الكلمات، وعدا ذلك فلا شيء سوى الصمت.

والعجيب أن هذا الإنسان الصامت بيننا دائما ينقلب فجأة إذا زارنا أحد أقاربه أو أصدقائه إلى إنسان لبق مرح تتسابق الكلمات على شفتيه. ويحكي الذكريات الطريفة عن رحلته إلى الدولة الأوروبية الفلانية أو الدولة العربية التي زارها،

وأقف أنا إلى جوار الصالون أتسمع هذه الأحاديث التي تصدر عن صدر منشرح يبوح بكل ما فيه فأكاد "ألطم" من حسرتي، يا رباه ألست إنسانة كهؤلاء الضيوف، لماذا إذن يجد ما يقوله لهم ولا يجد ما يقوله لنا؟ لقد حاولت أن أبوح له بما في صدري وأحدثه عن ضرورة أن نتقارب لبعضنا البعض لكي ينجح زواجنا ونحن في العشرينيات فلم يسمع لي، وحاولت ونحن في الثلاثينيات فلم يسمع، وأحاول الآن ونحن في الأربعينيات وأكرر له نفس الكلام، فيقول لي إنه لا يعرف إلا قوله تعالى "نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ" وهكذا مضت حياتي. يخرج من بيته في السادسة صباحاً ويعود في الخامسة مساء، فيمضى الساعات القليلة الباقية على موعد نومه منشغلاً بأي شيء وكل شيء عني. وعن الحديث معي، أو مع الأولاد.. حتى لقد كرهت الصمت. وأصبحت أشتاق إلى مجرد الحديث مع شريك الحياة. ولولا انشغالي ببيتي وعملي وأولادي لساءت حالتي أكثر مما حدث، وقد عوضني الله بأبناء وإن كانوا غير ممتازين في دراستهم إلا أنهم شخصيات محبوبة ويحبونني، وبعد كل ما رويت لك فإني أسألك كيف أوجه هؤلاء الأبناء وماذا أقول لهم عندما يصلون إلى سن الزواج؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وعن هذه الرسالة أقول:

تلقيت هذه الرسالة منذ أيام وترددت في نشرها قليلاً. لا لبساطة المشكلة فالحق أنها مشكلة جادة وعامة في نفس الوقت، وإنما خوفاً من أن يتسبب نشر الرسالة في متاعب عائلية لكثير من الأسر، إما لأن بعض الأزواج سوف يعتقد كل منهم خطأ أن زوجته هي كاتبة الرسالة، وإما لأن زوجات أخريات عديدات سوف تنكأ جراحهن هذه الرسالة فيجددن اللوم والعتاب.. وهذه مشكلة أخرى.

على أية حال.. فإن هذه الرسالة تعكس مشكلة جفاف العاطفة بعد سنوات الزواج الطويلة.. إلى الحد الذي ينزل معه جدار من الصمت الحديدي بين الزوج وزوجته.. يبدأ صغيرا ثم يعلو حتى يصبح، سداً عالياً، يحجب المشاركة في الاهتمامات الصغيرة والكبيرة والمشاعر العاطفية. والحق أن كثيرين من الأزواج لسوء إدراك لمفهوم الزواج مع رواسب اجتماعية متخلفة يعانون انقسام الشخصية في حياتهم الخاصة، فيعيشون خارج بيوتهم بشخصية اجتماعية مرنة ومرحة ومنبسطة، ويعيشون داخل بيوتهم بشخصية متحفظة متجهمة منطوية على نفسها. كما لو كانت ممارسة الحياة بانطلاق وطبيعية عيباً لا يصح أن تطلع عليه الزوجة والأبناء، وهذا في الواقع نقص فاضح في النضج النفسي تتداخل عوامل عديدة لتؤدي إليه. وهو أيضاً تراث قديم في حياة الرجل الشرقي الذي يفضل أحياناً صورة "سي السيد" المهاب الصامت، بدلاً من صورة الأب والزوج العطوف المسؤول عن رعيته مادياً وعاطفياً، أيضا أن الحياة الزوجية مشاركة كاملة بين الطرفين.. وهذه المشاركة تفرض الحوار وتبادل الرأي.. وتبادل الاهتمام بالآخر والاهتمام بكل ما يخصه وما يصدر عنه، ولو كان ثرثرة تافهة.

وقيام حاجز من الصمت بين الزوجين يعني بكل أسف أنهما قد تباعدا عاطفيًا وإنسانياً، وأنهما قد تحولا إلى شركاء في المسكن والحياة المادية فقط.. وبعض الأزواج لا يدركون خطورة الصمت الثقيل الذي يخيم على علاقاتهم بزوجاتهم فالصمت موت.. والكلام حياة، والحياة الزوجية التي يسودها الصمت المتبادل بين الأزواج هي حياة يعيش كل طرف فيها داخل نفسه.. له اهتمامات خاصة به وأحاسيس بعيدة عن الآخر، وأهمية المشاركة أنها تمزج بين الطرفين وتجعل منهما كلا متكاملاً واحداً، وأهم أدوات التعبير عن هذه المشاركة هي الكلام.. فتكلموا مع زوجاتكم يرحمكم الله.. فهذه الثرثرات الصغيرة تروح عن الزوجة.. وتهون عليها متاعب الحياة وتشعرها بأنها شريك لا تابع.. وزوجة لا ساعٍ مكلف بأداء الطلبات.. وعشير يستحب حديثه لا ثقيل يستكره الحديث معه.

أما نصيحتك لأبنائك فانصحيهم يا سيدتي بأن يعيشوا حياتهم الطبيعية بلا تصنع، وأن يحبوا زوجاتهم وأزواجهن وأن يعاملوهم كبشر لهم أحاسيس ولهم حقوق وعليهم واجبات، فبغير ذلك لا تستقيم حياة زوجية طبيعية.. والسلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أيام من العمر

أكتب إليك هذه الرسالة بعد أن نامت ابنتي الصغيرة التي تبلغ من العمر 6 سنوات بعد أن بكت طويلاً.. حتى أحسست بأني أختنق وبحجر ثقيل فوق صدري.. فانتظرت حتى نامت ثم أطلقت لدموعي العنان وأمسكت بالورقة والقلم لأكتب لك لأسألك الرأي والنصيحة.

قصتي يا سيدي تبدأ منذ سبع سنوات عندما تزوجت من إنسان رائع أحببته بكل قواي، وأحبني وأغرقني في فيض مشاعره وحبه، لكن أسرتي عارضت هذا الزواج لأسباب تتعلق بها، ولم أتوقف عندها قليلاً أو كثيراً، وهذه الأسباب هي أن وسطه الاجتماعي أقل قيلاً من وسطي، ولأن أسرتي أرادت لي الزواج من شخص آخر كان قد تقدم لأسرتي واقتنعت به، لكنه كما يقولون "مخربش" ويعرف كيف يتعامل مع الحياة والناس، وفى حين أن من أحببته كان يبدو في نظرهم إنساناً منطوياً خجولاً لا يعرف كيف يتعامل مع الدنيا ولن ينجح (أن يحميني منها) لكنني رغم ذلك تمسكت به وجدت فيه ضالتي.. فهو رقيق الشعور.. طيب سريع التنازل عن حقه لكيلا يغضب أحد منه، حريص على الناس حتى لو أساءوا إليه.. كنت أحس أنه جاء إلى هذه الدنيا خطأ فهو لا يعرف أي شيء عن طبائع البشر، ويصدق كل كلمة تقال له.. ويتعامل مع الناس دائماً بحسن نية، وأشعر أنه حين يعود من عمله إلى البيت كأنه يريد أن يحتمي بصدري من الفظائع التي يراها في مقر عمله أو في الشارع.. فكنت أضمه إليّ حتى يخلد إلى السكينة فيتفجر ينبوع الحنان من قلبه، وكان ذا قدرة عجيبة على العطاء والحنان.. كنت أنظر إلى عينيه فأجدهما تطوفان في المكان بحثا عني.. ولا تطمئنان إلا حين تستقران عليّ فأبتسم له.. فيبتسم ويشع سعادة وحناناً.. وانقطعت عن أسرتي بكل أسف. بسبب زواجي منه وأسرتي ليست أمي وأبي فلقد توفيا رحمهما الله، لكنها مكونة من عمي وزوجته وقد ربياني وكانا رحيمين بي، لكنهما اعترضا على زواجي قاطعاني بسببه، فاضطررت لذلك راغمة.

وومضت حياتي سعيدة، وأنجبت طفلة اكتملت بها سعادتنا. ولن أنسى ما حييت حنانه وإشفاقه عليّ خلال فترة الحمل، وكان يتصور أن أية حركة أؤديها خلال الحمل ترهقني وتؤذي الجنين.. فيطلب مني ألا أفعل أي شيء.. فأضحك وأهون عليه الأمر فيزداد عطفاً وحباً. أما لحظة الولادة فكانت لحظة تاريخية في حياتنا معاً.. ولن أنسى ما حييت رعبه حين جاءت لحظة الولادة، فقد أشفقت عليه وهو يرتجف خوفاً وهلعاً عليّ ويتمتم بآيات من القرآن الكريم، وهو ينتفض فطلبت من الطبيب أو يخرجه من المستشفى كلها ومن أحد الأصدقاء أن يصحبه إلى البيت، وألا يعيده إليّ إلا بعد أن يأذن الله، وحدث ذلك بالفعل وجاء زوجي المحبوب ليحمل طفلته ودموعه تهطل كالمطر حباً وإشفاقاً.

وعشنا أياماً سعيدة سعيدة.. بعد أن انضمت إلى عش حبنا ابنتي الوحيدة.. ولم يتغير شيء في حياتنا سوى أن زوجي قد أفرغ فائض حبه وحنانه على ابنته،

وأن ابنتي قد شاركتني في حبه وتعلقت به تعلقا شديدا كأنما "اكتشفت" بإلهام من الله نوعيته وأنه نوع من البشر خلق ليحبه الآخرون حتى ولو اختلفوا معه.

لم يكن يزعجني شيء إلا أنى فقط كنت أريد له ألا يلتصق بي تماماً لكي يستطيع مواجهة الحياة إذا فصلت بيننا الظروف لأي سبب ولأي فترة زمنية بسبب السفر أو المرض إلخ.. وكان يحاول جاهدا إرضاء لي لكنه كان يعود إلى مرة أخرى فأقول في نفسي "آه يا طفلي الصغير.. إنك لا تريد أن تبعد عني.. فأهلاً بك" وأضمه إلى صدري.

ومضت الحياة جميلة نشترك في كل شيء.. ونعمل كل شيء معاً ونشتري أشياءنا معاً.. ونذهب إلى العمل معاً ونعود معاً.. ونزور الأقارب عند الضرورة معاً.. يشتري لي ملابسي.. وأشتري له ملابسه، إلى أن جاءته فرصة للسفر إلى الخارج في جولة عمل تابعة لعمله.. فكاد يرفضها لأنه لا يريد أن يبعد عني أو عن ابنته لمدة أسابيع.. فضغطت عليه لكي يقبلها.. ولكيلا يضيع هذه الفرصة ومضيت أشجعه وأعد له حقيبة السفر وأكتب له قائمة المشتريات التي أريدها لي وله ولابنتي.. وهو خائف.. ويرتعد وكلما اقترب يوم السفر يزداد هزالاً ورعباً، كأنه مقدم على خوض معركة وأنا اطمئنه وأداعبه وأقول له إني سأعد الأيام على عودته.. ثم جاء موعد السفر فقبلني وضمني إليه طويلاً وهو يبكي وقبل ابنته وضمها طويلاً إليه.. ثم خرج ودموعي تودعه، وسافر للخارج وشاءت إرادة الله ألا يعود فقد توفى هناك في حادث سيارة كان مع زملائه في طريقه لزيارة أحد المصانع فوقع حادث للسيارة فأصيب كل ركاب السيارة بإصابات عادية أما هو فلقد اختاره الله إلى جواره ولا راد لقضائه.. فهذه إرادة الله، وبدأت متاعبي وآلامي، عادت أسرتي للاتصال بي من جديد ورعايتي.. لكني وجدت الحياة تختلف تماماً عن الحياة التي عشتها طوال السنوات السبع الأخيرة. لن أقول إني حزنت عليه حزناً شديداً لأني واثقة أنك تحس بذلك الآن.. لكني سأقول لك إنني كنت وما زلت أعيش مع طيفه حتى الآن كأني في انتظار أن يعود إليّ من رحلته.. أذهب إلى عملي فأتلفت حولي، باحثة عن عينيه اللتين كانتا تطوفان حولي باستمرار. وأعود إلى بيتي فأتخيله قلقاً ينتظر عودتي ولا يطمئن ولا يستقر إلا حين يراني.. أمضي الأمسيات أمام جهاز التليفزيون فأغيب عما أراه وأرى وجهه الرقيق المتعب دائماً كأنه يحمل فوق صدره خطايا البشر، ينظر إليّ بإشفاق كأنه يقول لي "أنا زعلان منك لأن تهملين صحتك"، فتغرورق عيناي بالدموع وأحتضن ابنتي كأني احتمي بها مما أعانيه. وهنا تبدأ مشكلتي وهي المشكلة الأزلية.. فابنتي تبكي كل يوم وكل ليلة لأن "بابا" لم يعد من السفر حتى الآن.. وأنا حائرة لا أعرف ماذا أصنع معها.. وقد جربت كل الحيل بلا فائدة.. وفكرت أن أكتب إليها رسائل باسمه من الخارج كما رأيت في بعض الأفلام لكن لا شيء ينسيها أباها، وقد ضاعف من آلامي أن ظهر في حياتي الشخص "المخربش" الذي تقدم لخطبتي قبل زواجي، وراح يطاردني بإصرار وعناد لأتزوجه مرة أخرى تسانده أسرتي التي عدت إليها، ورفضته مراراً.. فازداد ضغطاً عليّ.. وكلما فكرت مجرد تفكير أن أقبل عرضه أجد نفسي تفزع من فكرة أن "أحل" هذا الإنسان الشرير

"المخربش" محل ذاك الإنسان الملائكي الرقيق، خصوصا أنه يطلب طلبا قاسيا هو أن أترك طفلتي لحضانة عمي وزوجته لأتفرغ له وهو لا يريد أن يتركني في حالي، فيذهب إلى مقر عملي ويشيع أنه خطيبي وحين أرفض عروضه.. يلاحقني بالأقاويل لأسرتي ويطلب منها الضغط عليّ لكي تتوقف هذه الأقاويل عني.. وأنا حائرة لا أعرف ماذا أفعل.. ولا أجد من أبثه همومي.. وأفكر أحياناً في الاستسلام لهذا الوحش وقبول الزواج منه..

لكن كيف أستطيع أن أتخلى عن جوهرة حياتي وهي ابنتي.. وأفكر أن أعيش لابنتي وأن أكيِّف حياتي على الوحدة بعد أن ذقت السعادة أنهاراً مع زوجي الراحل.. لكن هذا الشخص الذي تتجمع فيه كل شرور الدنيا لا يدعني لحالي.. فماذا أفعل وبم تنصحني.. هل أقبله زوجاً.. وأضحي بابنتي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

لا تستسلمي لرغبة هذا الشخص في الزواج منك وإبعاد ابنتك عنك.. لأنك لا تحبينه يا سيدتي ومازلت تعيشين حبك لزوجك الحالم الراحل الذي مر بالحياة كأنه طيف جميل عبر بها وترك وراءه ذكراه الجميلة.. ولن تجدي السعادة بعد هذا الزواج الحالم مع زوج "مخربش" يمثل بالنسبة لك النقيض في كل شيء، ومن الواضح أن نمط هذه الشخصية لا يلائمك لأنك أنت أيضاً شخصية رومانسية حالمة.. وسوف تموتين كل يوم ألف مرة مع مثل هذا الزوج الفظ.. كما أنك بالتأكيد لن تجدي السعادة مع زوج لا يقدر مشاعرك كأم ويشترط أساسًا إبعاد طفلتك عنك في مثل هذه الظروف المأساوية التي تعيشينها.. لو سألتني الرأي يا سيدتي فإني أنصحك بألا تتزوجي ممن تكرهين.. لأن مثل هذا الزواج هو زواج محكوم عليه بالفشل مقدماً، وأنصحك بأن تنتظري قليلاً إلى أن تلتئم جراحك ثم تتزوجين من تجدين في نفسك الميل والارتياح له.. وأغلب الظن أنك لن تجدي مثل هذا الميل في رأيي إلا تجاه شخص لا تتنافر طباعه تنافراً تاماً مع زوجك الرقيق، كما هو الحال مع هذا الشخص المخربش..

وعموماً فإن الزمن يصنع الأعاجيب ولسوف تعبرين هذه المحنة بسلام إن شاء الله وستجدين من يضمد جراحك ويعيد السعادة إلى عشك القديم بشرط ألا تتعجلي الأمور أما ابنتك المسكينة.. فضاعفي من رعايتك وحنانك لها.. ولا مفر يا سيدتي من أن "تسربي" إليها الحقيقة المرة على جرعات طويلة المدى.. وبالتدريج إلى أن تعرف الواقع المؤلم، وإلى أن تنسى بقلوب الأطفال ما يدمي قلوب الكبار.. والله معك ومعها في أيامكما المقبلة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

المحنة

أكتب إليك هذه الرسالة، بعد أن أثارت أشجاني إحدى العبارات التي جاءت في ردك على إحدى الرسائل، ودفعتني للكتابة إليك، أما العبارة فهي "ولا يعرف الشوق إلا من يكابده" ولأنني "كابدت" تجربة أليمة فإني أعرف "الشوق" جيداً وأريد أن أنقل درس التجربة لغيري من قارئات وقراء هذا الباب.

أنا يا سيدي سيدة في الثلاثين تقريبا، منذ عشر سنوات كنت طالبة بكلية الطب فتعرفت بطبيب كريم الخلق متدين وسيم ومن أسرة متدينة طيبة، كان وقتها في مرحلة الامتياز وأحب كل منا الآخر حباً ملك عليه نفسه، فتزوجنا وأقمنا في شقة أسرته التي تعمل في إحدى الدول العربية، ومضت الأيام تحمل لي كل يوم سعادة لم أحلم بأكبر منها.. حتى أنني انصرفت كلية إلى بيتي وزوجي فتعثرت خطواتي بكلية الطب وأضطررت إلى الانتقال إلى كلية نظرية، وخلال هذه الأيام تعاقد زوجي المحبوب للعمل طبيباً في نفس الدولة التي تعمل بها أسرته وسبقني إلى هناك، **ولا أستطيع أن أصف لك كيف انقضت الأيام التي عشتها وحيدة في مصر خلال غيابه، ثم أنجبت طفلي الوحيد ولحقت به في مقر عمله بعد شهور من سفره. وهناك حققنا حلم حياتنا بأن تكون لنا شقة خاصة نؤثثها كما نريد ونرتبها كما نهوى.. وهناك عرفنا معاً "طعم الوفرة" أي أن يكون لدينا كل ما نريد.. وفي أي وقت نريد، لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن فلقد تغير الحال بعد فترة.. وبدأت تظهر عليه علامات لا أصدقها في البداية، ثم علمتني الأيام المريرة أن أصدق كل شيء، بدأ يعاملني في البيت "كدكتور" خطير يقبض راتباً ضخماً بالآلاف وتغيرت نظرته إلى الناس وإلى الدنيا واكتسبت تصرفاته مظهراً غريباً من مظاهر العظمة، وبدأت تدخل حياته أشياء ومتغيرات جديدة لم نكن نعرفها حين كنا نعيش سعداء في مصر، رغم عدم وجود الآلاف، فأفلام الفيديو مثلا العادية "وغير العادية" بدأت تحتل مكاناً مهماً من حياته ووقته وتفكيره، وتحول البيت بالنسبة له إلى سكن تقوم زوجته بترتيبه وإعداد المطلوب للحفلات العائلية لمشاهدة أفلام الفيديو وهي الخطر العظيم الذي يهدد البيوت هذه الأيام، وبدأ يغيب عني وعن ابنه الساعات الطويلة معتذراً بالعمل والمرضى.. رغم أنه لا عمل هناك ولا مرضى سوى ساعات محدودة كل يوم.. ساورني الشك، لكني طردته سريعاً إذ كيف أشك فيمن هجرت مستقبلي من أجله ومن اخترته من بين الجميع، راجعت نفسي أأكون قد قصرت في حقه في شيء.. لكني وجدت نفسي دائماً ومن اليوم الأول لزواجي به المضحية بكل شيء من أجله.. إذا عرض لي أمر فكرت أولاً هل يرضيه أم يغضبه فإذا كان يرضيه فعلته ولو كنت لا أرغبه ولا أطيقه.. إذا وقفت في المطبخ لأعد الطعام فكرت قبل كل شيء فيما يحبه وفيما يكرهه، ولا يهم ماذا أحب ولا ماذا أكره، وإذا اقترب موعد عودته جريت كالمجنونة في الشقة أرفع كرسياً سقط على الأرض.. أو جريدة تركتها على مائدة الطعام، ثم أقف أمام المرآة لأصلح من شأني وأغير فستاني وأسرح شعري لأكون في أجمل صورة حين يعود إلى بيته.**

والآن بدأت أفكاري تتضارب هل كان الصحيح هو أن أحجب مشاعري عنه لكيلا "يتملعن" كما تفضل بعض النساء أم كان الصحيح أن أكون كما كنت تلقائية وعفوية معه أعبر له عن حبي **ولا أخفيه.. ولماذا أخفيه.. ولماذا أمثل وأنا في بيتي الذي ينبغي أن أحيا فيه على طبيعتي.. إنني أرى فيه المثل الأعلى لي فلماذا أخفي ذلك أو أضن به عليه؟**

هل يعتبر ذلك ضعفاً في الشخصية؟ لقد كنت أحرص دائماً على أن آخذ رأيه فيما أترديه من ملابس وفى اختيار الألوان، فهل هذا خطأ؟ حتى حين تمادى في ابتعاده عن البيت وسهره في الخارج بغير أن يكلف نفسه حتى طمأنتي تليفونياً، لم أكن أثور عليه حين يعود بل كنت أظهر له قلقي عليه، وطوال سنوات زواجنا لم نتشاجر معا أبداً بصوت عال ولم يمسني مرة بضرب أو إيذاء، كما نسمع في كثير من الأحيان، لكن زوجي مازال متغيراً كما كان. هل أثور؟ هل أصرخ؟.. لم أفعل شيئاً من ذلك لكني استمررت في العناية به، ورعايته وتلبية إشارته أملاً في أن يعود، ثم عاد ولكن أي عودة فذات يوم قال لي إنه يريد أن يتحدث معي في أمر مهم.. فخفق قلبي.. وتجمعت الدموع في عيني.. استعداداً لقبول اعتذاره عن اغترابه عني طوال الفترة الماضية.. حتى من قبل أن يعتذر كنت قد قبلت اعتذاره، وفكرت فيما سأقوله له من كلمات أهون بها عليه الأمر، وأعلن فرحي لعودته لي ولأبنه غافرة له كل شيء فإذا بزوجي يقول لي في هدوء شديد كأنه يزف إليّ خبراً عادياً إن الحياة معي قد أصبحت مستحيلة، وأنه لا يستطيع أن يتحملني أكثر من ذلك، هل تتخيل حالي وأنا أسمع ذلك من بين دموعى سألته والولد؟ قال بنفس الهدوء أنه سيتربى بالمال الذي جمعه، وانه لا مشكلة هناك ما دامت هناك نقود.

وبهدوء قاتل فتح حقيبة يده الصغيرة ثم أخرج منها تذكرة سفر بالطائرة لي ولابني وتركها أمامي وانصرف.

كان باقي على موعد الرحيل ثلاثة أيام، يعرف الله وحده كيف مرت بي ثم جاء الموعد فحملت حقيبتي وطفلي وعدت إلى أرض الوطن منهزمة.. منهارة.. كأحلام بددتها الأيام.

وبعد عودتي لمصر اتضحت أمامي الأمور.. وعرفت أنه على علاقة بأخرى سوف يتزوجها. تليق به وباسمه اللامع الدكتور فلان الفلاني. وعرفت أنه لم يعد يراني لائقة به بعد أن انتقل إلى طبقة أخرى غير التي خرجنا منها معاً.

واجتررت أحزاني وحيدة في بيت أسرتي، ألومه أحياناً في قرارة نفسي.. والتمس له العذر في أحيان أخرى قليلة فأقول لنفسي لابد أن لى بعض العيوب التي أراها الآن وهي أنه أجمل مني، وأنا لست جميلة لكني "حلوة" أي متوسطة الجمال وأخفي جمالي تحت الحجاب، وأحياناً أخرى كثيرة أقول لنفسي. لكنه ظلمني وظلم ابنه معي، أو ماذا أقول لابني الصغير عندما يسألني عن أبيه؟ وكيف أوضح له الأمور عندما يكبر؟ مضت على محنتي الآن حوالي سنة حاولت أن استجمع خلالها نفسي، وأن أشغل نفسي بالبحث عن عمل لعلي أقنع نفسي بأني أستطيع أن أنجح في شيء ما، فاكتشفت صعوبة ذلك فشغلت نفسى بتعلم الآلة الكاتبة وتلقي

دورات في الكمبيوتر، وقراءة إعلانات الوظائف.. وأحاول أن أتكيف مع وضعي الجديد أن أكون عضواً في أسرة هي أسرتي بعد أن كنت ربة أسرة لكن.. لكن لو عرف الآباء يا سيدي أن خطر الطلاق سوف يستمر أثره طوال الحياة على أبناء لا دخل لهم بظروف الحياة الزوجية، لما أقدموا عليه أبداً، إن الجميع حولي يحاولون الآن إعطائي الثقة في نفسي، وفي الحياة لكني لم أعد أثق في شيء ولا يشغلني سوى العمل، وابني فقط.

وأصل إلى درس التجربة الذي أريد أن أقوله لغيري من واقع "الشوق" الذي أكابده.. إنني أقول للمقبلين على الزواج لا لا تجعلوا من صغائر الأمور سبباً في الانفصال.. فكل شيء بالتفاهم والحوار يمكن حله وإنقاذ الحياة.. فعليكم بالحوار.. بالحوار.. وحذار من وقف الحوار.. فكل شيء يمكن احتماله.. إلا الطلاق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

هذه هي الرسالة التي تلقيتها.. والتي لا أملك لكاتبتها سوى أن أشاركها مشاعرها الحزينة وأن أتفق معها في ندائها الأليم في نهايتها الذي تكاد تصرخ فيه للآخرين لا تتسرعوا ولا تندفعوا لكيلا تكابدوا ما كابدت من محنة وعذاب.

غير أني يا سيدتي قد قرأت رسالتك مرات ومرات، فأحسست أنك تحملين نفسك ما لا طاقة لها به.. وتعتبرين نفسك مسؤولة عن بعض ما جرى ولا أراك مسؤولة عن شيء منه. بل أراك قد بالغت في الحرص والاسترضاء والتنازل إرضاء لغيرك.. حتى زهدك هذا "الغير" بسهولة ولم يجد صعوبة كبيرة في التخلي عنك.

إنك نموذج غريب يا سيدتي للتضحية والتفاني.. والفناء في شخصية غيرك.. وإنكار الذات في عصر يبدو أنه لم يعد يقدر مثل هذه القيم النبيلة، فلقد انسحبت بهدوء وبلا مقاومة.. وعدت تجرين أذيال الخيبة والمرارة، ثم رحت تلومين نفسك حتى لتتلمسي "للجاني" بعض العذر في أنه الدكتور "فلان الفلاني" وأنه "أجمل" منك وأنك متوسطة الجمال.. مما لم اقرأه من قبل في رسالة لمطلقة، ومما لا أستسيغه إذ لا أفهم كيف يمكن أن يكون الرجل "أجمل" من امرأة مهما كان نوع جمالها؟ ولا كيف يمكن أن يكون ذلك من "مميزاته"، ولا تفسير لذلك عندي إلا أن تكوني قد أحببته - وما زلت - حباً عظيماً لا يستحقه ولم يقدره.. فلم ترى فيه قبيحاً ولم تقبلي في داخلك حتى لومه عما فعل فلمت نفسك نيابة عنه وما أنت بملومة؟

يا إلهي.. ألهذا الحد تحبينه أو لهذا الحد يعمى الإنسان أحياناً عن رؤية مثل هذا الحب العظيم فيحرم نفسه طواعية منه إنك يا سيدتي ضحية، "للبطر" الذي يصيب بعض الرجال حين تغدق عليهم الدنيا بلا حساب، وحين يشجعهم رصيد البنك المتنامي على اتخاذ أصعب القرارات المصيرية.. بسهولة تامة.. أو بهدوء قاتل كما فعل معك اعتماداً على أن النقود سوف تتكفل بحل باقي المشاكل، أو حين

تصور لهم أحلام العظمة أنهم قد أصبحوا "طبقة" أخرى يحتاجون معها إلى زوجة "راقية" تتلاءم مع متغيرات حياتهم.

وهذه للأسف قصة تتكرر الآن كثيراً بين بعض المصريين الذين أمضوا سنوات طويلة في العمل بالدول البترولية، كما تتكرر أيضاً بين " بعض "أبطال الداخل" من أثرياء الانفتاح والهباشين، وهي للأسف استرجاع لظاهرة اجتماعية كانت مألوفة في حياة المصريين في بدايات القرن الحالي حين كان لكثير من الرجال زوجة متواضعة تتناسب مع بدايته المتواضعة ثم زوجة "فاخرة" في أخريات العمر تتناسب مع ما وصل إليه من ثراء ومكانة اجتماعية، لقد كنت أتصور أن مجتمعنا يتقدم للأمام في هذه الناحية حتى ظهرت هذه الآثار الجانبية لعصر الهجرة وعصر الانفتاح، فإذا به يتقدم للخلف في هذه الناحية على الأقل.

إنني أشكرك على رسالتك القيمة وأقول لك إني أحس منها، أنك قد افتقدت الثقة بنفسك طوال حياتك معه وإلى الآن، وأن افتقاد هذه الثقة قد أضر بعلاقتك به كما أضر بك، وأن تسامحك الدائم معه قد أغراه بالتمادي في الاستهانة بك حتى لفظك بلا معاناة ولا تقدير لماضيكما معاً، فأعيدي ثقتك في نفسك وفي الحياة وفى العدل وثقي أن تجربتك الأليمة قد أكسبتك معرفة بالدنيا سوف تفيدك في المستقبل، أما طفلك فلسوف يكبر ويفهم أن في الدنيا حقائق تعجز عن فهمها أحياناً الأفهام، وأننا نسلم بأشياء كثيرة في الحياة لا نملك لها رداً ولا دفعاً، ومن هذه الأشياء أن يشب طفل محروم من حنان أبيه ورعايته.. لمجرد نزوة طارئة ألمت بأبيه ذات يوم.. وما كان أسهل مقاومتها حفاظاً على الأسرة لولا جحود الإنسان وضعفه.. وبطره في كثير من الأحيان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

شيء..من العذاب

ثم أخيراً قرأت هذه الرسالة..

إنني فتاة ترجوك أن تنصح كل أم وكل أب أن يرحموا بناتهم وأبناءهم إذا رسبوا في الثانوية العامة ويكفيهم ما يعانونه من عذاب داخلي.. فأنا قد رسبت في الثانوية العامة، ولم أكن أتوقع الرسوب، إنما كنت أتوقع النجاح بدون مجموع.. فرسبت وعذابي كان شديداً.. وربما كنت أتظاهر بأنه لا يهمني لكن النار بداخلي لا تنطفئ، ومع ذلك فإن أهلي لا يرحمونني.. وقد أصبحت عصبية جداً.. إنني أناشدك أن تكتب وتنصح الأهالي بأن يعاملوا أبناءهم معاملة حسنة لكي يعطوهم الأمل في النجاح.. وذلك قبل أن أتحول من طالبة مهذبة إلى طالبة فاشلة بسبب معاملة أبويّ، وبعد أن أصبحت حياتي جحيماً بسبب ذل أهلى لي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

سمعاً وطاعة.. وسأقول للآباء والأمهات.. من فضلكم لا تعذبوا أبناءكم إذا رسبوا في الثانوية العامة أو في غيرها، وقفوا إلى جوارهم لكي يستعيدوا الثقة في أنفسهم.. ويتمكنوا من اجتياز الامتحان بنجاح.. فهذا هو واجب الآباء والأمهات فعلاً أن يساعدوا أبناءهم.. لا أن يذلوهم. لكن من واجب الأبناء أيضا يا آنستي ألا "يعذبوا" آباءهم وأمهاتهم برسوبهم في الثانوية وفي غيرها بسبب إهمالهم لواجبهم وعدم تقديرهم للمسؤولية.. فهذا هو "العذاب" الحقيقي.. لكن بعض الأبناء لا يعرفون.. مع تمنياتي لك بالتوفيق هذا العام إن شاء الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

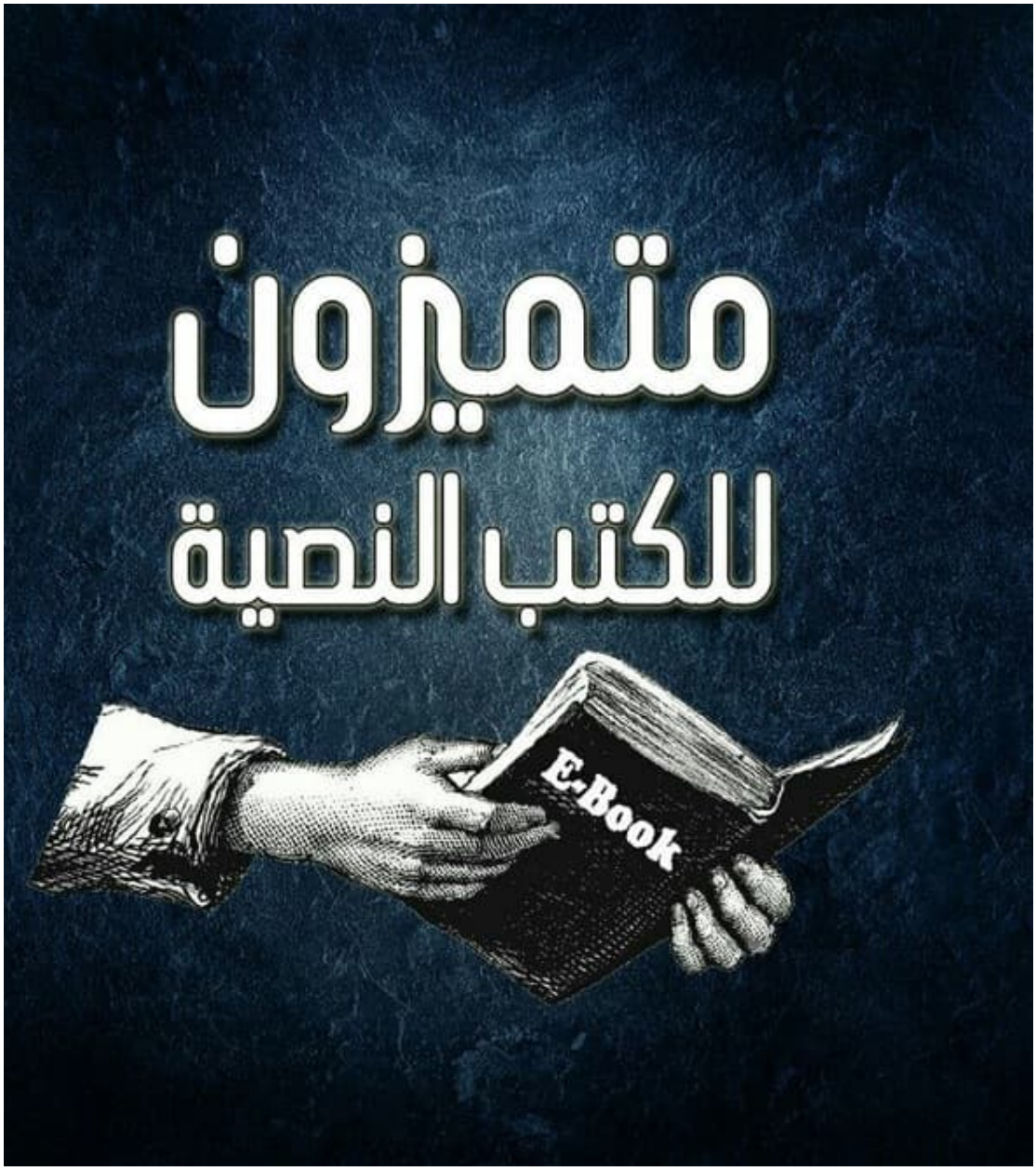
متميزون
للكتب النصية
E-Book

الفهرس:

مقدمة

في السماء

بين الصخور

الوصمة!

أحد عشر كوكبا!

الحائط

فوق نار هادئة!

طالب تعيس

أحلام كبيرة

أنشودة البساطة!

البئر القديمة!!

الابتسامة المفقودة!!

عاصفة في الخريف

الأكذوبة

الطريق الصعب

الكارثة!!

هموم صغيرة

بئر الحرمان

حالة
نافذة على الجحيم
في القطار
عطر السنين!
القفص الذهبي
إنسان بسيط
خلافات زوجية
النداء الصامت
حد السيف
هموم شخصية
حاجز الصمت
أيام من العمر
المحنة
شيء..من العذاب
الفهرس: